أسس ترجيح القراءة عند ابن أبي مريم
في (الموضَح) من أول الفاتحة إلى آخر الكهف

الدكتور

جمعة حمدي سالم

مدرس بقسم القراءات، بكلية القرآن الكريم

بطنطا- جامعة الأزهر

(العدد الخامس والثلاثون)

(الإصدار الأول)

(١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م)

أسس ترجيح القراءة عند ابن أبي مريم في (الموضَح) من أول الفاتحة إلى آخر الكهف.

جمعة حمدي سالم

قسم القراءات، كلية القرآن الكريم، طنطا، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية.

البريد الالكتروني: gomaasalem@azhar.edu.eg

ملخص البحث: يهدف الموضوع إلى بيان الأسس التي بنى عليها الإمام نصر بن علي بن محمد الشيرازي المعروف بـ(ابن أبي مريم) ترجيح القراءة القرآنية من خلال كتابه(الموضَح في وجوه القراءات وعللها)، وهذا الكتاب يحوي قراءات الأئمة السبعة المشهورين، ورواتهم، بالإضافة إلى قراءة الإمام يعقوب الحضرمي، وراوييه، كذلك ذكر ابن أبي مريم في كتابه علل قراءات هؤلاء الأئمة ووجوهها من ناحية التفسير، واللغة، وغيرهما، وهو في غالب هذه القراءات يرجّح قراءة بعينها، ويختارها دون القراءة الأخرى، ليس رفضاً لها، أو إنكاراً، إنما حبّبت إليه، لأمرٍ ترجّحَ لديه، وقد تضمّن كتابه الموضح أيضاً آراء أئمة التفسير، وعلماء اللغة، وناقشها، ووازن بينها، وأدلى بدلوه في تلك الآراء، فلم يكن مجرد ناقل، وإنما أفاض علينا بغزير علمه، وسعة اطّلاعه، وقد كثرت مصنّفات العلماء في قراءات الأئمة السبعة المشهورين، ووجّهوها من جميع جوانبها، لكن قلّ من العلماء من صنّف في القراءات الثمان، فأضاف يعقوب إلى السبع، ووجّه قراءته كغيره، لذا تميّز الكتاب من هذه الناحية.

الكلمات المفتاحية: أسس، ترجيح، القراءة، ابن أبي مريم، الموضَح.

The foundations of the preponderance of recitation according to Ibn Abi Maryam in (Al Muwdah) from the beginning of Al-Fatihah to the end of Al-Kahf.

Juma Hamdi Salem
Department of Readings, College of the Noble Qur'an, Tanta, Al-Azhar University, Arab Republic of Egypt.
Email: gomaasalem@azhar.edu.eg

Abstract: The topic aims to clarify the foundations on which Imam Nasr bin Ali bin Muhammad al-Shirazi, known as (Ibn Abi Maryam), preferred Quranic reading through his book (The Clarified in the Faces of Readings and Their Illnesses), and this book contains the readings of the seven famous imams, and their narrators, in addition to To the reading of Imam Ya`qub al-Hadrami and his narrators, Ibn Abi Maryam also mentioned in his book the reasons for the readings of these imams and their faces in terms of interpretation, language, and others, and in most of these readings he prefers a particular reading, and chooses it without the other reading, not a rejection of it, or a denial, but rather I liked him, for a matter that favored him, and his illustrated book also included the opinions of the imams of interpretation and linguists, discussed them, balanced them, and gave his opinion in those opinions. The seven well-known imams, and they guided it in all its aspects, but few of the scholars who classified the eight readings, so Jacob added to the seven, and directed his reading like others, so the book was distinguished from this aspect.

Keywords: Foundations, Weighting, Reading, Ibn Abi Maryam, Al Muwdah.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله على نعمة الإسلام، ونعمة القرآن، الحمد لله على نعمه العظيمة، التي لا تنفد، وأصلى وأسلم على رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، معلم القرآن، وهادى الإنسان، ومبلغ رسالة الرحمن، القائل: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"، فاللهم أجعلنا من أهل القرآن الكريم، الذين هم أهلك وخاصّتك يا رب العالمين – آمين–.

أما بعد

فإن القرآن الكريم بحرٌ لا تنقضى عجائبه، وكتابٌ ينهل منه العلماء كل يوم، يجدون فيه ضالَّتهم، ويكتشفون فيه ما كان قد خفى عليهم، فهو كتابٌ صالحٌ لكل زمان ومكان، معجزٌ للإنس والجن أن يأتوا بمثله، أو بآية منه، حوى بين دفّتيه علومًا كثيرةً، ومنافعَ غزيرةً، كلها تهدى للتي هي أقوم، وترشد الإنسان إلى خيرى الدنيا والآخرة.

ومن تلك العلوم التي كانت شديدة التعلق بالقرآن الكريم، علم توجيه القراءات القرآنية، وما القراءات إلا جزءٌ من القرآن الكريم، لأنه إن قُرِئَ برواية قالون عن نافع فهو (قرآن كريم)، وإن قُرِئ برواية ورش عن نافع فهو (قرآن كريم) كذلك، وكذا يقال في بقية الروايات، الحاصل أن القراءات جزءٌ من القرآن الكريم بمنزلة الجزء من الكل.

وعلم توجيه القراءات المتواترة علمٌ جليلٌ يشرف به صاحبه، لأنه يبرز معانى القراءات القرآنية بأوجهها التي نزل بها، فهو علمٌ يتعلق بأشرف الكتب وأجلّها، وكان مِمّن اشتغل بهذا العلم الجليل وبرع فيه: إمامُنا الجليل: نصر بن على بن محمد بن أبى مريم الشيرازي المتوفَّى بعد سنة (٥٦٥هـ)، وذلك حينما صنّف دُرَّته المشهورة (الموضَح في وجوه القراءات وعللها)، وهو كتابٌ أصيلٌ في علم توجيه القراءات القرآنية، حيث قام ابن أبى مريم فيه بتوجيه قراءات الأئمة السبعة المشهورين، وهم: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائى، بالإضافة إلى توجيه قراءة الإمام يعقوب

الحضرمي، فيكون المجموع ثمانية قراء، وعادةُ كثيرٍ من المصنّفين أن يؤلّفوا في قراءات الأئمة السبعة المشورين، أو العشر، وقليلٌ منهم من أفرد القراءات الثمان بالتصنيف، لذا كان كتاب (الموضَح في وجوه القراءات وعللها) لابن أبى مريم كتابًا فريداً متميّزاً من هذه الناحية.

وقد أبدع فيه صاحبه أيَّما إبداع، وأودع فيه جُلّ هّمته، وغاية دقّته، وفنوناً عدةً حوت: التفسير، والمعنى، واللغة، والفقه، وغيرها من العلوم المتعلقة بعلم القراءات القرآنية.

ونظراً لنزعته التفسيرية واللغوية جاءت قضايا عديدة من كتابه متعلقة بالمعنى، وكذا بفنون اللغة من: إعراب، وصرف، وبلاغة، وغيرها، لذا كان يرجّح بعض القراءات على بعض لأجل معناها، وقوةِ وجهها اللغوي.

واختار ابن أبى مريم طريقاً متميزاً عن غيره ممَّن ألف فى علم توجيه القراءات القرآنية، حيث وضع منهجاً في كتابه (الموضَح) سار عليه، ويأتي الحديث عنه في مبحثه – إن شاء الله– تعالى –، ومن هذه الطرق التى تميز بها: ترجيحه بعض القراءات على بعض، واختياره بعض القراءات، وتقويتها، لذا رأيت أن أبرز جوانب هذه الترجيحات التى قام بها ابن أبى مريم في كتابه.

ولم تكن هذه الترجيحات أو الاختيارات عبثاً، وإنما كانت قائمة على أسس بنى عليها تلك الترجيحات، وتأتى في حينها – إن شاء الله تعالى– .

فاللهم اجعل هذا البحث في صحيفة الأعمال، وارزقني الإخلاص في كل عمل، وانفع به كلُّ من اطّلع عليه – آمين–.

أسباب اختيار الموضوع

هناك بعض الأسباب التى دعتنى لاختيار هذا الموضوع وهى:

١) قضية ترجيحات القراءة واختيارها، قضية غاية فى الأهمية، لأنها لم تكن تابعة لهوى، وإنما كانت مبنيةً على أسس وقواعد متعددة، وقد رجّح ابن أبى مريم بعض القراءات واختارها بعينها دون الأخرى، وتنوعت ترجيحاته: فمرّةً يرجح القراءة لقوتها فى التفسير والمعنى، ومرّةً لقوة وجهها

الإعرابى، وأخرى لموافقتها رسم المصحف الشريف، وغير ذلك، فأردت جمع هذه الترجيحات، وجعلها في بحث مستقل.

٢) الإمام نصر بن على بن أبى مريم الشيرازى: شخصيةٌ تستحق الدراسة، والاهتمام، عالمٌ متبحرٌ فى اللغة والقراءات، مُرَتّبُ الأفكار، موسوعةٌ قراءيةٌ، ذو منهج متميز، دقيقٌ في مصادره، أبدع في ديباجته (الموضَح في وجوه القراءات وعللها) أيّما إبداع، عرض قراءات الأئمة الثمانية بأسلوب العالم المحقق، ووجّهها بلسان اللغوي المدقّق.

٣) كتاب (الموضَح في وجوه القراءات وعللها): موسوعةٌ علميةٌ، كتابٌ جامع مانع، يعد قبلةً للباحثين، ومناراً للدراسين، وعمدةً للمحققين، حوى مسائل قراءية، وقضايا علمية ولغوية، ومدرسةً فريدةً توجيهية، صحيح أن الجانب اللغوى كان كبيراً فى مسائل هذا الكتاب، إلا أن المصنّف لم يهمل أبداً الجوانب الأخرى، فكانت موجودةً أيضاً؛ لكنها لم ترقَ إلى الجانب اللغوي.

لهذه الأسباب وغيرِها رأيت أن أقوم بإبراز أسس ترجيحات القراءة عند ابن أبى مريم من خلال كتابه (الموضَح في وجوه القراءات وعللها)، وهو بحثٌ لم أجد أحداً تعرّض له بعد البحث.

وأسأل اللهَ – ﷻ– أن يجعل ما كتبته فى ميزان حسناتى، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به – آمين–.

خطة البحث

جاءت موضوعات هذا البحث مقسمةً على النحو التالي:

أولاً: المقدمة واشتملت على: أهمية الموضوع، وأسباب اختياري له، وخطة البحث، ومنهجه.

ثانياً : التمهيد: وتضمّن التعريف بالإمام ابن أبى مريم ويشتمل على:

- اسمه، وكنيته، ومولوده.
- شيوخه، وتلاميذه.
- مؤلفاته.

- منهجه في كتابه (الموضَح في وجوه القراءات وعللها).
- وفاته.

ثالثاً: أسس ترجيح القراءة عند ابن أبى مريم، وتحته ثمانية مباحث:-

المبحث الأول: ترجيح الإمام ابن أبي مريم القراءة حملاً على التفسير والمعنى.

المبحث الثاني: ترجيح الإمام ابن أبي مريم القراءة، لقوة وجهها اللغوي.

المبحث الثالث: ترجيح ابن أبى مريم القراءة لكونها اللغة الفصيحة المشهورة.

المبحث الرابع: ترجيح الإمام ابن أبي مريم القراءة حملاً على النظائر.

المبحث الخامس: ترجيح الإمام ابن أبي مريم القراءة لكونها قراءة عامة القراء.

المبحث السادس: ترجيح الإمام ابن أبي مريم القراءة لأنها قراءة أحد الصحابة -رضي الله عنهم -.

المبحث السابع : ترجيح الإمام ابن أبي مريم القراء لموافقتها رسم المصحف الشريف.

المبحث الثامن: ترجيح الإمام ابن أبي مريم القراءة لموافقتها حديث النبي- ﷺ-.

رابعاً: الخاتمة واشتملت على: أهم النتائج التى توصل إليها البحث.

خامساً: الفهارس العلمية وحوت: أهم المصادر والمراجع، فهرس الموضوعات.

منهج البحث

اعتمدت في كتابه هذا البحث على المنهج الاستقرائى الوصفى التحليلى، حيث قمت بجمع ترجيحات الإمام ابن أبى مريم الشيرازي في كتابه (الموضَح في وجوه القراءات وعللها) من أول سورة الفاتحة وحتى آخر سورة الكهف، ووضعت كلَّ ترجيح تحت أساسه الذى بنى عليه ابن أبى مريم اختياره، ثم قمت بوصف هذا الترجيح أو الاختيار، وتحليله قدر المستطاع وفق المنهج العلمي المتبع.

التمهيد

التعريف بالإمام ابن أبي مريم رحمه الله

ويشتمل على : -

أولاً : اسم الإمام ابن أبي مريم ومولده

هو : نصر بن عَليّ بن مُحَمَّد أَبُو عبد الله الشيرازيُّ الفارسي الفَسَوي[١]، أما مولده فلم أجد أحداً من العلماء الذين ترجموا للشيخ ابن لأبي مريم حدّد السنة التي ولد فيها.

ثانياً : كنية الإمام ابن أبي مريم رحمه الله

بالاستقراء في كتب التراجم التي ترجمت للإمام ابن أبي مريم **وجدت له أكثر من كنية وهي :-**

١- ابن أبي مريم .

٢- فخر الدين .

٣- أبو عبد الله .

٤- صدر الإسلام.[٢]

لكنّه اشتهر عند العلماء بالكنية الأولى وهي : ابن أبي مريم، حتى صارت علماً عليه .

ثالثاً: لقب الإمام ابن أبي مريم رحمه الله

لُقِّب الإمام الفاسي بخطيب شيراز وأديبها وعالمها ومَن يُرجَعُ إِلَى رَأْيه فِي الْأُمُور الشَّرْعِيَّة.[٣]

---

(١) الوافي بالوفيات ٢٧/ ٤٨.

(٢) معجم المؤلفين ١٣/٩٠ .

(٣) معجم الأدباء ٦/ ٢٧٤٩، والوافي بالوفيات ٢٧/ ٤٨.

رابعاً: شيوخ الإمام ابن أبي مريم رحمه الله

لم تذكر المصادر التي ترجمت للشيخ ابن أبي مريم سوى شيخاً واحداً؛ لكن يَبعُدُ أن يكون لابن أبي مريم شيخٌ واحدٌ، وهو البحر في اللغة، والتفسير، والمقرئ المعروف الشهير.

وشيخ ابن أبي مريم المُفصَح عنه في كتب التراجم هو:

تاج القراء: محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم الكرماني المعروف بتاج القراء، مؤلف كتاب (خط المصاحف)، وكتاب (الهداية في شرح غاية ابن مهران)، وكتاب (لباب التفاسير)، وكتاب (البرهان في معاني متشابه القرآن)، إمام كبير محقق ثقة كبير المحل، قرأ عليه: أبو عبد الله نصر بن علي بن أبي مريم، وكان ذلك في حدود الخمسمائة وتوفي بعدها والله أعلم.(١)

خامساً : تلاميذ الإمام ابن أبي مريم رحمه الله

لم تذكر المصادر التي ترجمت للشيخ ابن أبي مريم أيضاً سوى تلميذاً واحداً أشار إليه ابن الجزري في غاية النهاية وهو :-

مكرم بن العلاء بن نصر الفالي .

وهذا الشيخ أيضاً لم أقف له على ترجمة بعد البحث، وقد ذكر الدكتور عمر حمدان الكبيسي محقق كتاب (الموضَح في وجوه القراءات وعللها) لابن أبي مريم ثلاثةً من تلامذة الشيخ ابن أبي مريم، وبيّن أنه عثر على هؤلاء التلامذة من خلال ذكر أسمائهم في النسخ الأصلية من مخطوط كتاب (الموضَح)، والتلامذة الثلاثة هم:-

١- **شهاب الدين جمال الإسلام زين الأئمة أبو الحسن علي بن محمد بن أبي علي.**

٢- **الشيخ الفقيه عفيف الدين نجيب الإسلام أبو الحسن علي بن هبة الله بن محمد.**

---

(١) غاية النهاية٢ / ٢٩١ ، هدية العارفين ٤٠٢/٢ .

٣- **أبو العلاء حمزة بن محمد بن عبد العزيز بن محمد .**

وقد علّق الدكتور الكبيسي على هؤلاء الأئمة الثلاثة في الحاشية بقوله :" ولم أعثر لأحدٍ من تلامذة المؤلف هؤلاء على ترجمة تبلُّ الصّدَى ".[١]

سادساً: مؤلفات ابن أبي مريم رحمه الله

مصنّفات الإمام ابن أبي مريم تركّزت في التفسير واللغة والقراءة، ومع شهرة الشيخ إلا أنّ مصنّفاته لم يصل إلينا منها سوى كتابه (الموضَح في وجوه القراءات وعللها) ، أما بقية مصنفاته فذكرها المترجمون للشيخ جملة فقط دون تفصيل، ولا توجد أخبارٌ حول مصير هذه الكتب، اللهم إلا ما جاء من إشارات موجزة في ثنايا كتاب (الموضَح في وجوه القراءات وعللها)، وبلغت مصنّفات الإمام ابن أبي مريم حسب ما ذكره المصنّفون خمسة مصنفات، وهي :-

١- الكشف والبيان في تفسير القرآن في ثماني مجلدات،[٢] قال الصفدي: "وَله تَفْسِير الْقُرْآن فِي أَربع مجلدات وَقد جوّده" [٣].

٢- شرح الإيضاح لأبي علي الفارسي في النحو، وسمّاه الإفصاح في شرح الايضاح قرئ عليه سنة ٥٦٥ هـ .

٣- عيون التصريف.

٤- والمنتقى في الشواذ[٤]، ويسمى المنتقى في علل القراءات، وقد بيّن فيه وجوه القراءات الشاذة وعللها، كما أن كتابه (الموضَح) هذا أوضح فيه وجوه القراءات الثمان المتواترة – السبعة المشهورة،

---

(١) الموضَح :٣٦.

(٢) معجم المؤلفين ٩٠/١٣ .

(٣) الوافي بالوفيات ٢٧ /٤٨.

(٤) معجم المؤلفين ٩٠/١٣ .

بالإضافة إلى قراءة يعقوب الحضرمي–، وإن كان لا يخلو من ذكر الشاذ، إلا أنه قليل.[١]

٥- الموضَح في القراءات الثمان، أو(الموضَح في وجوه القراءات وعللها) بعد طباعته وتحقيقه تحت هذا الاسم، وهذا الكتاب هو الذي عليه مدار البحث، وهو يحوي قراءة الأئمة السبعة المعروفة، وقراءة يعقوب الحضرمي، وهو المصّنف الموجود فقط من مؤلّفات شيخنا ابن أبي مريم – رحمه الله–، قال ابن الجزري واصفاً كتاب (الموضَح): "وقفت له على كتاب في القراءات الثماني سمّاه الموضَح يدل على تمكّنه في الفن، جعله بأحرف مرموزة دالّة على أسماء الرواة، وذكر ناسخه أنه استملاه من لفظه في رمضان سنة اثنتين وستين وخمسمائة "[٢]، ويأتي الحديث عنه مفصّلاً – إن شاء الله – تعالى–.

سابعاً : منهج الإمام ابن أبي مريم - رحمه الله – في كتابه (الموضَح في وجوه القراءات وعللها)

كتاب الموضَح في وجوه القراءات وعللها للإمام ابن أبي مريم يُعَدّ من أهمّ مصنّفات علم توجيه القراءات، وقد نهج فيه الشيخ منهجاً متميّزاً، وكان منهجُ إمامِنا فيه كالتالي :

أ- تقسيم الكتاب

قسّم الشيخ كتابه على النحو التالي :

١- مقدمة .

٢- فصول عشرة ، تُعَدُّ أصولاً للقراءات في الكتاب .

٣- بيان قراءات القراء الثمانية لسور القرآن الكريم جميعها، ابتداءً من سورة الفاتحة وانتهاءً بالناس (فرش الحروف) .

---

(١) الموضَح :٣٦.

(٢) غاية النهاية ٣٣٧/٢ .

تحدث المؤلف – رحمه الله – في مقدمته عن تأليفه كتاباً – قبل كتابه الموضَح هذا – في بيان وجوه القراءات الشاذة سماه (المنتقى)، وهو كتابٌ موجزٌ صغيرُ الحجم ، ولكنه كثيرُ الجدوى عظيمُ الفائدة [١].

فلما أعجَبَ الكتابُ طلابَ العلم سألوه أن يؤلف لهم كتاباً يشتمل على وجوه قراءات القراء المشهورين إذ كانت حاجة الناس إليها أكثر، واهتمامهم بها أوفر، وسألوه أن يكون مختصراً وواضحاً .

قال ابن أبي مريم : " فدعتني نفسي إلى إسعافهم بمطلوبهم وإجابتهم إلى ما التمسوه استمالة لقلوبهم، فابتدأت بتأليف هذا الكتاب، فحين ارتفع شطر منه صارت حوائل الدهر تحول دون إتمامه، وشواغل الوقت تعوق عن بغية القلب من هذا المراد واهتمامه".[٢]

وقد أشار ابن أبي مريم إلى أن كتابه (الموضَح في وجوه القراءات وعللها) إنما صنّفه لبيان علل ووجوه القراءات التي جاءت في كتاب (تبصرة البيان في القراءات الثمان) لأبي الحسن الرازي السعيدي (ت ٤١٠هـ)، وهو كتابٌ مشهورٌ في بلاد فارس في ذلك الزمان[٣] .

وتضمّن كتاب التبصرة هذا قراءات القراء السبعة المشهورين، وقراءة يعقوب الحضرمي، وقال مؤلفه السعيدي:" دعتني نفسي لتأليف كتب موجز في القراءات متمَّماً بيعقوب بن إسحاق في القراءات ، كما تُمِّمَ بالنبي – ﷺ– النبوات"[٤] .

---

(١) د/ الكبيسي الموضَح : ٦٧ من قسم الدراسة .

(٢) المصدر السابق: ٦٨ .

(٣) لم أقف على هذا الكتاب، وبعد بحث وجدته حُقِّق في رسالة علمية في كلية القرآن الكريم، بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في العام (١٤٣٧هـ) .

(٤) غاية النهاية ٢ / ٣٨٧ .

وقال ابن أبي مريم في مقدمة موضَحِهِ هذا:" وإنما أُلحِق يعقوب بهؤلاء السبعة أخيراً لكثرة روايته، وحسن اختياره ودرايته" [١].

وقال ابن الجزري:" فليعلم أنه لا فرق بين قراءة يعقوب وقراءة غيره من السبعة عند أئمة الدين المحققين، وهو الحقّ الذي لا محيد عنه".[٢]

ونصَّ – رحمه الله – على تسمية كتابه بـ (الموضَح)، على أنه وإن كان موضحاً فقد أوجز فيه المقال وتجنب الإطالة .

ثم وعد – وكان موفياً – بأنه إذا ذكر القراء الثمانية فسينص على أسمائهم، أما إذا تعرض للرواة فإنه سيذكر لكل راوٍ رمزاً من الحروف خاصا به، وذكر سبب ذلك فقال : (حرصاً على الاختصار، وتفادياً عن الإكثار، ولأُفرّق بين الأئمة ورواتهم، ولأُقصِّر فيه على المبتدئين طرق مسعاتهم، وبينت دلالة هذه الحروف في الفصل الثاني من المقدمة.....) [٣].

ب– منهج ابن أبي مريم في توجيه القراءة :

١– يعرض ابن أبي مريم القراءات المنسوبة للقراء الثمانية، الذين ذكرهم في كتابه أو أحد رواتهم بإيجاز شديد.

٢– تميّز ابن أبي مريم بإضافة قراءة يعقوب الحضرمي وراوييه رويس وروح، وذكر حجة قراتهم ووجّهها كغيره من قراءات الأئمة السبعة المشهورين .

٣– يعرض ابن أبي مريم أقوال العلماء من المفسرين، واللغويين، وغيرهم ويناقشها ويوازن بينها .

٤– يختار ابن أبي مريم بعض القراءات، ويرجّحها، ويميل إليها دون القراءة الأخرى لأسسٍ ارتضاها، وهو مدار بحثنا – إن شاء الله –.

---

(١) الموضَح : ١٠٣.

(٢) غاية النهاية ٢ / ٣٨٨ .

(٣) الموضَح : ١٥١ .

ج- ترجيح ابن أبي مريم بعض القراءات:

أدلى الشيخ ابن أبي مريم بدلوه في ترجيح واختيار بعض القراءات القرآنية التي مال إليها، فلم يكتف الشيخ بذكر قراءات الأئمة الثمانية، وبيان عللها ووجوهها، ولم يكن مجرّد ناقلٍ أو عارضٍ آراءِ العلماء فقط؛ وإنما جنح إلى بعض القراءات، فكان له رأي في اختيارها، والركونِ إليها، فحبّبت إليه، وكأنه تذوّق القراءات، ووازن بينها، واختار منها ما رآه مناسباً من وجهة نظره، لعلّة ترجّحت لديه، وهذا عين موضوع بحثنا، ويأتي ذكر هذه المواضع في محلّها – إن شاء الله –.

د- ألفاظ ترجيح القراءة عند ابن أبي مريم :

اختلفت ألفاظ ترجيح القراءة عند ابن أبي مريم، فهو لا يقف عند لفظ بعينه يرجِّحُ به القراءة التي ركن إليها، فتنوّعت الألفاظ لديه تنوعاً كبيراً، وقد استخدم ألفاظاً عدَّة عند ترجيحه القراءة، والألفاظ هي:

" والأظهر"، " وهو أحسن"، " أبلغ"، " قريبة في المعنى"، "أولى"، " أقرب"، "أكثر وأوجه"، " أليق القراءتين بالمعنى" ، " أوقع في المعنى"، "وهو الاختيار"، "ويؤيد هذه القراءة"، " أرجح "، "ويقوي هذه القراءة " ، "وهي القراءة الفاشية" .

هذه الألفاظ جميعها استخدمها الإمام ابن أبي مريم في ترجيحه القراءة، وصرّح بها؛ إلا أنه ربّما رجّح القراءة ضمناً دون تصريحٍ منه بذلك وقد فُهِمَ الترجيح من سياق حديثه عن القراءة التي رجّحها، وقد ذكرت وأحصيت كل المواضع التي رجّحها صراحةً أو ضمناً إمامنا ابن أبي مريم في كتابه الموضَح في النصف الأول من القرآن الكريم، وبيّنت عدد كل قراءة رجّحها، وذلك في بداية كل أساس من الأسس التي بنى عليها ترجيحه القراءة .

هـ- علامات الرواة في كتاب الموضَح في وجوه القراءات وعللها:

ذكرت سابقاً أن الإمام ابن أبي مريم وضع في كتابه (الموضَح في وجوه القراءات وعللها) رموزاً إشارية يهدف بها إلى اختصار أسماء رواة الأئمة الثمانية الذين ذكرهم في كتابه، وهذه العلامات حدّدها في مقدّمة موضَحِهِ، وهي:

"معروف[١]: ف، قالون[٢]: ن ، قنبل [٣]: ل، ورش[٤]: ش، إسماعيل[٥]: بل، أبوبكر بن عياش[٦]: ياش، حفص[٧]:ص، سليم[٨]:م، وربما يذكر باسمه، اليزيدي[٩]: يد، وربما يذكر باسمه ، الدوري [١٠]: ري ، وربما يذكر باسمه ، (أبو) الحارث[١١] : ث ، نصير[١٢] : ر ، روح [١٣]: ح ، رويس [١٤]: يس ، الوليد بن حسان [١٥]: ان ، الأصمعي[١٦]: عمى ، ومن عدا هؤلاء من الرواة ورواة الرواة يُذكرون بأساميهم".[١٧]

---

(١) هو معروف بن مشكان، ابو الوليد، أحد رواة ابن كثير. معرفة القراء الكبار ١/ ١٣٠.

(٢) هو عيسى بن ميسنا، أبو موسى، الملقب بقالون، أحد رواة نافع . غاية النهاية ٦١٥/١ ، ٦١٦.

(٣) هو محمد بن عبدالرحمن ، أبو عمر الملقب بقنبل. معرفة القراء الكبار ٢٣٠/١.

(٤) هو عثمان بن سعيد، الملقب بورش، أحد رواة نافع . غاية النهاية ٥٠٢/١ ، ٥٠٣.

(٥) هو اسماعيل بن جعفر، أحد رواة نافع. غاية النهاية ١٦٣/١.

(٦) هو شعبة ابن عياش أبوبكر، أحد رواة عاصم . معرفة القراء الكبار ١٣٤/١: ١٣٨.

(٧) هو حفص بن سليمان الغاضري البزاز، أحد رواة عاصم. غاية النهاية ٢٥٤/١، ٢٥٥.

(٨) هو سليم بن عيسى الحنفي ، أحد رواة حمزة . معرفة القراء الكبار ١٣٨/١ : ١٤٠.

(٩) هو يحيى بن المبارك اليزيدي ، أحد رواة أبو عمرو . غاية النهاية٣٧٥/٢ : ٣٧٧.

(١٠) هو حفص بن عمر، أبو عمر ، الدوري . معرفة القراء الكبار ١٩١/١ ، ١٩٢.

(١١) هو الليث بن خالد، أبو الحارث البغدادي أحد رواة الكسائي . غاية النهاية٣٤/٢ .

(١٢) هو نصير بن يوسف الرازي، أحد رواة الكسائي معرفة القراء الكبار ٢١٣/١، ٢١٤.

(١٣) هو روح بن عبد المؤمن أحد روايي يعقوب. غاية النهاية ٢٨٥/١.

(١٤) هو محمد بن المتوكل اللؤلؤي، المعروف برويس، أحد رواة يعقوب. معرفة القراء الكبار ٢١٦/١.

(١٥) هو الوليد بن حسان التوزي ، أحد رواة يعقوب . غاية النهاية ٣٥٩/٢.

(١٦) هو عبدالملك بن قريب الأصمعي روى عن نافع وأبي عمرو، وروى حروفاً عن الكسائي. غاية النهاية٤٧٠/١.

(١٧) الموضَح : ١٥١ .

ثامناً : وفاة الإمام ابن أبي مريم رحمه الله

اختلفت آراء العلماء الذين ذكروا ترجمة الشيخ ابن أبي مريم – رحمه الله– في تحديد السنة التي توفي فيها، وغالب المصنّفين على أنه كان حياً سنة (٥٦٥هـ)، وأنه توفي بعد تلك السنة[١]، وهو الأمر الذي ارتضاه محقّق كتابه الدكتور / عمر حمدان الكبيسي.[٢]

(١) الوافي بالوفيات ٢٧/ ٤٨، طبقات المفسرين للداوودي٢ / ٣٤٥ ، ومعجم المؤلفين ١٣/ ٩٠.

(٢) الموضَح : ٤٦ من قسم الدراسة .

المبحث الأول

ترجيح الإمام ابن أبي مريم القراءة

حملاً على التفسير والمعنى

الإمام ابن أبي مريم اهتمّ اهتماماً كبيراً بتوجيه القراءة، وبيان معنى اللفظ القرآني بالقراءات المتواترة الواردة فيه، والتي قُرِئت بأكثرَ من وجه، وبيان معنى القراءة أخذ جانباً كبيراً من كتابه (الموضَح)، وقد أحصيت المواضع التي رجّح فيها ابن مريم القراءة حملاً التفسير والمعنى في النصف الأول من القرآن الكريم فوجدته فعل ذلك في اثني عشر موضعاً، ولا شك أن الاختلاف في القراءات المتواترة يثري المعنى، ولا ينافيه أبداً، فهو اختلاف تنوّعٍ وتغايرٍ.

وكان من البديهي أن يأخذ التفسير والمعنى الحظَّ الأوفرَ في ترجيحات الإمام ابن أبي مريم، وذلك لأن توجيه القراءة في الغالب يقوم على المعنى، بالإضافة إلى تبحّره وبراعته في علم التفسير، فقد صنّف سِفْراً كبيراً في تفسير القرآن سمّاه (الكشف والبيان في تفسير القرآن) في أربعة مجلدات كما مرّ بنا قريباً عند الترجمة له، وأُسرِد فيما يلي المواضع التي رجّح فيها الإمام ابن أبي مريم القراءة لتفسير أو معنىً جنحَ إليه :-

الموضع الأول

عند قوله الله – ﷻ- : ﴿ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ ﴾[1] بيّن ابن أبي مريم القراءتين في لفظي ﴿ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ ﴾، ووجّههما، وجنحَ إلى قراءة الخطاب، حيث قال- رحمه الله -:"﴿ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ ﴾ بالياء فيهما، قرأها حمزة والكسائي[2] وذلك لأنهم غيب وإن كان مأمورًا بخطابهم، يؤيد ذلك

(١) سورة آل عمران من الآية : ١٢.

(٢) النشر لابن الجزري ٢ / ٢٣٨.

قولـه تعـالى﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ ﴾[1] و ﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ ﴾[2] وقرأ الباقون بالتاء فيهما، وذلك لأن النبي – ﷺ – أُمِر بأن يقول لهم ذلك ويخاطبهم به، فكأنه قال: خاطبْهم بذلك[3]، وهذا كما تقول: قل لعبد الله إنك مضروب، ويجوز إنه مضروب[4]، والأول أظهر" [5].

الإمام أن ابن مريم عند توجيهه القراءة الأولى أيّد ما ذهب بما جاء من مواضعَ أخرى في القرآن الكريم موافقة لما قرأ به حمزة والكسائي بالياء، وهو أسلوب عربي معروف، يتّبعه العرب ويجري على ألسنتهم، وهو أسلوب (الالتفات)، ويعني : الانتقال في الكلام من الخطاب إلى الغيبة والعكس، وعلى لهجاتهم نزل القرآن الكريم.

ثم أتبع ابن أبي مريم حجّته بما يرد على اللسان العربي من انتقال في الكلام من الخطاب ﴿ قُل ﴾ إلى الغيبة (سيغلبون) والعكس، وذلك عند قوله : " وهذا كما تقول : "قل لعبد الله إنك مضروب"، ثم ختم توجيه القراءتين بترجيحه قراءة الخطاب ﴿سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ ﴾[6] حتي يستقيم الكلام على سننٍ واحد، حيث جاء أول الكلام بالخطاب وهو في قوله تعالى : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ وكذا جاء ختام الكلام بالخطاب، وقد استخدم في ترجيحه القراءة لفظاً ينبئ عن اختياره القراءة بتاء الخطاب، وذلك عندما ضرب مثلاً : " قل لعبد الله إنك مضروب، ويجوز إنه مضروب"، ثم علّق على المثالين باختياره

---

(١) سورة الأنفال من الآية : ٣٨.

(٢) سورة الجاثية من الآية : ١٤.

(٣) الدر المصون للسمين الحلبي ٦٩٧/١.

(٤) الحجة للقراء السبعة للفارسي ١٩/٣ .

(٥) الموضَح : ٣٦٢ .

(٦) سورة آل عمران من الآية : ١٢.

الصيغة الأولى التي جاءت بالخطاب، فقال: " والأول أظهر" يعني القراءة بالتاء أظهر في المعنى حتى يكون آخر الكلام كأوله .

الموضع الثاني

عند توجيه ابن أبي مريم القراءات الموجودة في قول الله – ﷻ– :﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴾[1] رجّحَ قراءة ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ ﴾ بكسر همزة " إن "، وبنى ترجيحه القراءة بالياء حملاً على المعنى فقال –رحمه الله–:" (أَنَّ الدِّينَ) بفتح الألف، قرأها الكسائي وحده[2]، والوجه في ذلك: أنه جعل (أنّ الدينَ) بدلاً عن قوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾[3] كأنه قال: "شهد الله بأنه لا إله إلا هو، وبأن الدين عند الله الإسلام" ، فيكون (أنّ الدينَ) بدلاً عن (أنّه) بدل الكل، ويجوز أن يكون بدل الاشتمال؛ لأن الدين مشتمل على التوحيد، ويجوز أن يكون بدلاً عن القسط؛ لأن كون الدين هو الإسلام هو قسط وعدل. وقرأ الباقون بكسر (إنَّ)؛ لأن الكلام الذي قبله تام، فيكون استئنافًا[4]، وهو أحسن؛ لأن ما يقصد به الثناء على الباري – سبحانه– كان الكلام فيه– إذا كان جملاً متباينة– أحسن؛ لأنه أبلغ في المدح" [5].

وقد رجّحَ ابن أبي مريم قراءة كسر همزة ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ ﴾، وبني ترجيحه على أساسيين اثنين هما :–

الأول: الكلام السابق للفظ " إنَّ " تامٌّ في المعنى، وبداية الجملة التالية كلام مستقلٌّ عن الكلام السابق، وليس معطوفاً عليه حتى تفتح الهمزة،

---

(١) سورة آل عمران من الآية : ١٩.

(٢) الإتحاف : ١٧٢ .

(٣) سورة آل عمران من الآية : ١٨.

(٤) المحرر الوجيز ٤١٧/١.

(٥) الموضَح : ٣٦٤ .

ومعلومٌ أن همزة " إن " تكسر في مواضع عدّة منها: عند بداية الكلام[1]، وهو عين ما تحمله قراءة﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ ﴾ بكسر الهمزة.

الثاني: ما جاء في الآية السابقة من جُمَلٍ تحوي الثناء على الله – ﷻ–، وهي الشهادة من الله – ﷻ– بأنه ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ﴾[2] ، ثم التأكيد على وحدانيّته وعزّته وحكمته بقوله:﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[3].

وقد عقّب الإمام ابن مريم على هذا الثناء وتلك الشهادة من الله – ﷻ– بقوله : " ما يقصد به الثناء على الباري – ﷻ كان الكلام فيه – إذا كان جملاً متباينة – أحسن، لأنه أبلغ في المدح"، وهو يعني بذلك الشهادة التي حوت ثناءً من الخالق – سبحانه – على نفسه، والملائكة، وأولى العلم، وتلك شهادةٌ واضحةٌ جليةٌ لا ريب في ذلك، ثم أتي بعد تلك الشهادة، كلامٌ جديدٌ مستأنفٌ فيه تأكيدٌ على أن دينَ الله هو الإسلامُ، فهو كلامٌ مغايرٌ عن الكلام السابق الذي كان الثناء فيه واضحاً يحوي جملاً ظاهرة، فلأن يُحمَلَ الكلامُ على ظاهره الواضح، أفضل من حمله على الكلام المقدّر .

الموضع الثالث

عند حديث الإمام ابن أبي مريم عن القراءتين الموجودتين في قوله تعالى﴿ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾[4] جنحَ إلى قراءة التخفيف في لفظ "تُعَلِّمُونَ" فقال :" "تَعْلَمُونَ الكتاب" بالتخفيف من العلم، قرأها ابن كثير ونافع

(١) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ١ / ٢٩٩.

(٢) سورة آل عمران من الآية : ١٨.

(٣) سورة آل عمران من الآية : ١٨.

(٤) سورة آل عمران من الآية : ٧٩.

وأبو عمرو ويعقوب[1]، والوجه: أن ما بعده ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ ولم يقل "تدرّسون" بالتشديد، والمعنى: يعلمكم الكتاب ويدرسكم فهو أليق بما بعده، ثم إن العالم الدارس قد يؤخذ بعلمه ويقتدي به في درسه، فيحصل من انتشار العلم بدرسه وتكراره ما يحصل بتعليمه، فتكون هذه القراءةُ قريبةً في المعنى من القراءة الأخرى، وقرأ الباقون ﴿تُعَلِّمُونَ﴾ بالتشديد وضم التاء، من التعليم، وذلك لأن التعليم أبلغ في المعنى؛ لأن المعلّم لا يعلم غيره إلا وهو عالم بما يعلمه[2]، فمعنى القراءة الأولى حاصل ههنا مع زيادةٍ، ثم إن ما قبله يدل عليه، وهو قوله تعالى ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾، والربّاني في قول علي وابن عباس: العالم الذي يؤخذ عنه العلم[3]".[4]

وبإمعان النظر في كلام ابن أبي مريم السابق وجدت أن ابن أبي مريم – رحمه الله – حُبِّبَ إليه القراءتين، ولاحظت أنه تأرجح في اختياره القراءة، وكان هذا الأمرُ جلياً، فمثلاً بعد توجيهه القراءة الأولى: " تَعْلَمُون" بالتخفيف، رَكَنَ إليها، وبنى أساس ترجيحه على أمرين :-

الأول : أن " تَعْلَمُون" بالتخفيف وفتح التاء أليق بما بعده، وهو لفظ ﴿تَدْرُسُونَ﴾ الذي أجمع القراء على قراءته بالتخفيف، فلأن يأتي الكلام على نسقٍ واحدٍ أفضل وأليق .

الثاني: من ناحية المعنى: فقراءة " تَعْلَمُون"، بالتخفيف تعطي معنى: أن العالم الدراس قد يؤخذ بعلمه، ويقتدي به في درسه، فيحصل من انتشار العلم بدرسه وتكراره، ما يحصل بتعليمه .

وقد رجّحها بقوله:" فتكون هذه القراءةُ قريبةٌ في المعنى من القراءة الأخرى" .

---

(١) النشر ٢ / ٢٤٠ .

(٢) اللباب في علوم الكتاب ٣٤٩/٥.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٢٢/٤.

(٤) الموضَح :٣٧٦، ٣٧٧ .

وبعد أن ذكر ابن أبي مريم القراءة الأخرى ﴿ تُعَلِّمُونَ ﴾، استنتجت من فحوى كلامه إشارات ترجّح قراءةَ التشديد وضم التاء، وهذا الترجيح وتلك الاشارات موجودةٌ في قوله :

١- التعليم أبلغ في المعنى .

٢- معنى القراءة الأولى حاصلٌ هاهنا مع زيادة .

وفي هاتين الإشارتين السابقتين ما يؤكد أنه رَكَنَ إلى القراءة بالتشديد، ثم إنّ ما قبله – أي ما قبل ﴿ تُعَلِّمُونَ ﴾ المشدد – يدل عليه – أي يدل على قراءة التشديد، فجاء﴿ تُعَلِّمُونَ ﴾ مشدداً ليتواقف مع اللفظ الواقع قبله وهو﴿ رَبَّٰنِيِّـۧنَ ﴾، وهو مشدد أيضاً ويحوي المعنى ذاته، لذلك قال ابن أبي مريم : " الرّبّانيّ في قول على وابن عباس : العالم الذي يؤخذ عنه العلم ".

وتلك إشارات تؤكد أنه جَنَحَ إلى القراءة بالتشديد أيضاً، ويبدو أنه تردد في اختياره القراءتين، لذا رجّحهما معاً.

الموضع الرابع

عند بيان القراءات الموجودة في قوله الله – ﷻ–﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةٗ مِّنكُمۡۖ ﴾ [1]، رجّح ابن أبي مريم القراءة بالياء في لفظ ﴿ يَغۡشَىٰ ﴾، فقال:" (تَغْشَى طائِفَةً) بالتاء فوقها نقطتان، قرأها حمزة والكسائي[2]، والوجه: أن اللفظ محمولٌ على الأمَنَة، أي تغشى الأمنةُ طائفةً، والأمنةُ وإن أبدل منها النعاس فليست هي في حكم ما يسقط من الكلام، ولو

(١) سورة آل عمران من الآية : ١٥٤.

(٢) السبعة : ٢١٧.

كان كذلك لم يجز قولهم: الذي مررت به زيدٍ أبو عبد الله، إذ لو جعلت به في حكم الساقط لم يكن على الذي عائد.[١]

وقرأ الباقون (يَغْشَى) بالياء؛ لأن الفعل للنعاس؛ لأنه أقرب إلى الفعل، فإسناد الفعل إليه أولى".[٢]

وقد بني ترجيحه على أساس المعنى والسياق فقوله : " لأن الفعل – وهو ﴿يَغۡشَىٰ﴾: المذكر – للنعاس –، وهو مذكر أيضاً – لأنه أقرب – أي من ناحية المعنى–، ومن ناحية تذكيره أيضاً، فإسناد الفعل إليه أولى – أي أن يسند الفعل المذكر إلى لفظ النعاس المذكر أولى في المعنى وكذا في سياق الآية – .

الموضع الخامس

عند قول الله – ﷻ– : ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾[٣] وجّه ابن أبي مريم القراءتين في لفظ ﴿تَعۡمَلُونَ﴾ بالتاء والياء فقال: " ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ بالياء، قرأها ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب[٤]؛ لأنهم جعلوه تابعًا لما قبله، وهو على الغيبة، وذلك قوله تعالى "سَيُطَوَّقُونَ"، وقرأ الباقون ﴿تَعۡمَلُونَ﴾ بالتاء، جعلوه موافقًا لقوله تعالى ﴿وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾[٥]، والمعنى: والله بعملكم المرضي خبير فيجازيكم عليه[٦]، على أن الخطاب أبعد منه، والغيبة أقرب" .[٧]

---

(١) البحر المحيط ٣/٩٣.

(٢) الموضَح : ٣٨٧.

(٣) سورة آل عمران من الآية : ١٧٩.

(٤) النشر ٢/٢٤٤ ، ٢٤٥.

(٥) سورة آل عمران من الآية : ١٨٠.

(٦) حجة القراءات لأبي زرعة : ١٨٤.

(٧) الموضَح :٣٩٥، ٣٩٦.

وقد كان ابن أبي مريم واضحاً في ترجيحه قراءة الغيبة في لفظ ﴿ تَعْمَلُونَ ﴾ لأنه قريب في المعنى، وكذا قريب من لفظ "سَيُطَوَّقُونَ" الواقع قريب منه في الكلام، واستبعد قراءة ﴿ تَعْمَلُونَ ﴾ بالخطاب لأن أقربَ لفظٍ يوافقه في خطابه هو ما جاء في نهاية الآية السابقة لها، وهو قوله تعالى: ﴿ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[1]، فلأن يُحمَلَ الكلامُ إلى أقرب مذكور أولى من حمله على البعيد.

الموضع السادس

عند توجيه ابن أبي مريم القراءات الموجودة في قول الله – ﷻ ﴿ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَـٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ ﴾[2] رجّحَ قراءة تقديم ﴿ وَقَـٰتَلُواْ ﴾ وتأخير ﴿ وَقُتِلُواْ ﴾، فقال: "(وَقُتِلُوا) بالضمِّ (وَقَاتَلُوا) بالألف قرأها حمزة والكسائي، على تقديم الفعل المبني للمفعول به، وهذا وإن كان القتال قبل القتل حسن؛ لأن المعطوف بالواو يجوز أن يكون أوّلاً في المعنى، وإن كان مؤخّرًا في اللفظ؛ لأن الواو لا توجِب ترتيبًا، ويجوز أن يكون المراد أنه لما قُتِل منهم قومٌ، قاتل الباقون ولم يهنوا ولم يضعفوا، وقرأ الباقون (وَقَاتَلُوا) بالألف، (وقُتِلوا) بالضم، وشدد ابن كثير وابن عامر التاء من (قُتِّلوا)، وخففها الباقون".[3]

ثم قال ابن أبي مريم مرجّحاً قراءة﴿ وَقَـٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ ﴾ :" اعلم أن تقديم "وَقَـٰتَلُواْ " على "وَقُتِلُواْ " هو الوجه؛ لأن القتال قبل القتل، والتشديد في (قُتِّلُوا) حسن لتكرار الفعل، وهو القتل، ومن خفف (قُتِلُوا) فلأنّ فعل المخفف يقع على القليل والكثير، لما في الأفعال من معنى الجنسية[4] ".[5]

---

(١) سورة آل عمران من الآية : ١٨٠.

(٢) سورة آل عمران من الآية : ١٩٥.

(٣) النشر ٢ / ٢٤٦ ، ٢٤٣ .

(٤)الكشف١/٣٧٣، ٣٧٤.

(٥) الموضَح : ٣٩٨.

وقد جنح ابن مريم إلى قراءتي تقديم ﴿وَقَٰتَلُواْ﴾ وتأخير ﴿وَقُتِلُواْ﴾، وعبر عن ذلك الاختيار بقوله: "هو الوجه"، وبنى هذا الاختيار على المعنى والواقع، فالواقع يقضي بأن يكون القتال أولاً بين الفريقين، ومن ثَمَّ يحدث القتل الناتج عن المواجهة، كذلك جنح إلى قراءة ابن كثير وابن عامر بتشديد التاء من ﴿وَقُتِّلُواْ﴾، ووصفها بالقراءة الحسنة، وبني هذا الوصف على الواقع أيضاً، والذي يقضي بأن احتدام الفريقين في القتال يحدث عنه قتل، ويتكرر هذا القتل بشدة كلّما قويت المواجهة بينهما.

الموضع السابع

عند قول الله – ﷻ –﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾[1] ذكر ابن أبي مريم القراءتين في لفظ ﴿يَبْغُونَ﴾ بالياء والتاء، ومال إلى قراءة الجمهور بالياء، وقال في توجيه القراءتين: "﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ تَبْغُونَ﴾ بالتاء فوقه نقطتان، قرأها ابن عامر وحده. [2]

والمعنى: قل لهم أفحكم الجاهلية تبغون، وقرأ الباقون ﴿يَبْغُونَ﴾ بالياء، ووجهه: أن الكلام على الغيبة؛ لأن ما قبله إخبار عن الغيب،[3] وهو قوله﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾[4]، وهذه القراءة أكثر وأوجه لجري الكلام على ظاهره من غير إضمار".[5]

وقد وصف ابن أبي مريم قراءة جمهور القراء بقوله :"وهذه القراءة – أي بالياء – أكثر وأوجه"، وبني وصفه هذا على أساسين اثنين هما :

---

(١) سورة المائدة من الآية : ٤٩ .

(٢) السبعة لابن مجاهد : ٢٤٤، والتيسير للداني : ٩٩.

(٣) حجة القراءات لأبي زرعة : ٢٢٨.

(٤) سورة المائدة من الآية : ٥٠ .

(٥) الموضَح : ٤٤٢ ، ٤٤٣.

الأول: كثرة من قرأ بها من القراء حيث لم يقرأ بالياء سوى ابن عامر وحده .
والثاني : من ناحية المعنى والسياق الذي تقتضيه الآية الكريمة، والسياق الواقع قبلها جاء بلفظ الغيبة في قول الله – ﷻ – : ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴾، فأتبع الكلام الواقع بعده بلفظ الغيبة، لذا ناسب أن تكون القراءةُ بالغيب في ﴿يَبْغُونَ﴾ أوجه من ناحية المعنى الظاهر، فيكون الكلام على نسقٍ واحدٍ، ويتّسق آخر الكلام مع أوله .

الموضع الثامن

عند قول الله – ﷻ –﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ﴾[1] بيّن ابن أبي مريم القراءتين بالجمع والإفراد في لفظ ﴿ٱلرِّيَٰحَ﴾، ووجّههما، ورجّحَ قراءة الجمع فقال – رحمه الله –: " "يُرْسِلُ الرِّيحَ" على الوحدة: قرأها ابن كثير وحمزة والكسائي[2]، والوجه: أنه على لفظ الواحد، والمراد به الكثرة، كما يقال: كثر الدينار والدرهم والشاة والبعير[3]، وقال الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴾[4]، ولهذا قرأ من قرأ "الرِّيَحَ نَشْرًا"[5] فأفرد "الريح"، ووصفه بالجمع إذا كان الريح يراد به الجمع والكثرة؛ لأنه اسم جنس، و"الريح" أصله (رَوَحَ) على فَعَلَ، فانقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها، وكذلك في الجمع الكثير إذا قلت: رياح، قلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها، وأما الجمع القليل وهو أرواح فإن الواو صحت فيه وما قلبت؛ لأنه ليس فيه شيء يوجب القلب، وقرأ الباقون "ٱلرِّيَحَ" بالجمع، والوجه: أن المعنى جمع، فالأحسن أن يأتي لفظُه جمعًا ليوافق اللفظ

---

(١) سورة الأعراف من الآية : ٥٧ .
(٢) النشر ٢ / ٢٢٣.
(٣) المحتسب ١/ ١٨٧، وخزانة الأدب ٨ / ١٠٨، ١٠٩ .
(٤) سورة العصر الآية : ٢ .
(٥) هي قراءة : حمزة والكسائي وخلف العاشر . النشر ٢ / ٢٦٩ . ٢٧٠ .

المعنى[١]، وإذا كان لفظ ﴿ٱلرِّيَحَ﴾ إذا وقع في هذا الموضع كان على معنى الجمع، فلأن يقع لفظ الجمع نفسه أولى".[٢]

وهكذا جنح ابن مريم إلى قراءة الجمع في لفظ ﴿ٱلرِّيَحَ﴾، وبنى اختياره على المعنى قائلاً : "فالأحسن أن يأتي لفظه جمعاً ليوافق اللفظ المعني"، فهو يري أن لفظ ﴿ٱلرِّيَحَ﴾ في هذا الموضع يتناسب مع المعنى المراد في الآية الكريمة، وأن اللفظ إذا كان متفقاً مع المعنى المقصود يكون أقرب إلى الواقع، وقد عبر بترجيحه القراءة بلفظ: "أولى" .

الموضع التاسع

عند قول الله – ﷻ- ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ﴾ [٣] ذكر ابن أبي مريم القراءتين في لفظ ﴿إِنَّ﴾ ورجّحَ قراءة الاستفهام " أئن" فقال في توجيه القراءتين: "﴿إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا﴾ بكسر الألف على الخبر: قرأها ابن كثير ونافع وعاصم –ص–[٤]، وقرءوا في الشعراء (أَئِنَّ) على الاستفهام، والوجه: أنه جاء به على الخبر؛ لأن المعنى: إن كنا غالبين فإن لنا أجراً أي: استحققناه، أراد إن غلبنا استحققنا الأجر، وقرأ الباقون "أَئِنَّ لَنَا" بالاستفهام في السورتين، وقد مضى حكم الهمزتين، والوجه في الاستفهام : أنهم استخبروا عن حصول الأجر لهم ولم يقطعوا بحصوله، والمراد هل تجعل لنا أجرًا إن غلبنا؟[٥] وهذا أليق القراءتين بالمعنى" [٦]

---

(١) حجة الفارسي ٤ / ٣٢ .

(٢) الموضَح : ٥٣٢.

(٣) سورة الأعراف من الآية : ١١٣.

(٤) لبيان مذاهب في لفظ " أئن " في سورتي الأعراف والشعراء ينظر المهذب في القراءات العشر ٢٤٧/١ ، ٩٠/٢ .

(٥) الكشف ١ / ٤٧٢ ، ٤٧٣ .

(٦) الموضَح : ٥٤٧.

وقد اختار قراءة الاستفهام من أجل معناها، فهو يرى: أن سحرة فرعون يستفهمون فقط عن حصول الأجر لهم أي : هل سيكون لنا أجراً إن غلبنا موسى ؟ ولم يقطعوا لفرعون بأنهم سيكون لهم أجر إن غَلبوا، وقد عبّر عن ترجيحه القراءة بالاستفهام بقوله: "وهذا أليق القراءتين بالمعنى"، وهذا تصريحٌ منه بترجيح القراءة، وكذا بالأساس الذي بنى عليه ترجيحه وهو : المعنى .

الموضع العاشر

عند بيان ابن مريم القراءات الموجودة في لفظ ﴿ يُمَسِّكُونَ ﴾ من قوله – ﷻ– ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ ﴾[1] رجّح قراءة تشديد السين ﴿ يُمَسِّكُونَ ﴾ فقال: ""يُمْسِكُونَ" بسكون الميم وتخفيف السين: قرأها عاصم وحده– ياش–[2]، والوجه: أن أمسك وتَمَسَّك ومسك واستمسك واحد في معنى التعلق والاعتصام، إلا أن أمسك أكثر ما يستعمل بغير باء، يقال أمسكت الشيء وتمسكت به واستمسكت، قال الله تعالى﴿ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ ﴾[3]، و﴿ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ ﴾[4]، و﴿ فَأَمۡسِكُوهُنَّ ﴾[5]، ويمكن الفرق بين الإمساك والتمسك: أن الإمساك ضبط الشيء عن الذهاب، فهو ضد التخلية، والتمسك التعلق بالشيء، فأراد وضع الإمساك موضع التمسك، فلذلك عداه بالباء، وقرأ الباقون (يُمَسِّكُونَ) بتحريك الميم والتشديد، وكلهم قرأ في سورة الممتحنة[6] ﴿ وَلَا تُمۡسِكُواْ ﴾ مخففة، غير أبي عمرو ويعقوب فإنهما قرآ " تُمَسِّكُوا " مشددة[7]،

---

(١) سورة الأعراف من الآية : ١٧٠.

(٢) إرشاد المبتدي وتذكرة المنتهي في القراءات العشر للقلانسي: ٣٤١، ٥٩١.

(٣) سورة الأحزاب من الآية : ٣٧.

(٤) سورة المائدة من الآية : ٤.

(٥) سورة البقرة من الآية : ٢٣١.

(٦) من الآية : ٥٠.

(٧) النشر ٢ / ٣٨٧.

والوجه في التشديد: أن مسّك وتمسّك أوقع في هذا المعنى من أمسك على ما بيناه، ثم إن التشديد ههنا لما أريد به من الكثرة أولى ههنا من التخفيف؛ لأن المراد يؤمنون بالكتاب كله، فلا يؤمنون ببعضه ويكفرون بالبعض[١]" [٢].

وقد جنح ابن أبي مريم إلى قراءة التشديد، وبنى ترجيحه على المعنى الذي تعطيه قراءة التشديد، وهو: الكثرة، فإن قراءة التشديد "يُمَسِّكُونَ" ظاهرة في أنها تعنى الكثرة والغلبة، وهو الذي يشير إليه التشديد، وأن الذين ﴿ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ ﴾ تعني أنهم يؤمنون به كله، فلا يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض، لذا مال ابن أبي مريم إلى هذه القراءة، وعبّر عن ترجيحه إياها بقوله " أولى هاهنا من التخفيف " .

الموضع الحادي عشر

عند قول الله – ﷻ – : ﴿ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾[٣] بيّن ابن أبي مريم القراءتين في لفظ ﴿ يَمُدُّونَهُمْ ﴾، ووصف قراءة ﴿ يَمُدُّونَهُمْ ﴾ بفتح الياء وضم الميم أنها أحسن من القراءة الأخرى فقال في توجيه القراءتين: " ﴿ يَمُدُّونَهُمْ ﴾ بضم الياء وكسر الميم: قرأها نافع وحده[٤]، والوجه: أنه وإن كان الإمداد يستعمل فيما يُحمَد ويُستحَب، فهو ههنا على المجاز، والتشبيه بمنزلة قوله ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[٥]، وذلك أنه يقال: أمددته بمال قال الله تعالى ﴿ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ ﴾[٦] وقال ﴿ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ ﴾[٧]، فيستعمل

---

(١) حجة القراءات لأبي زرعة : ٣٠١ .
(٢) الموضَح : ٥٦٣ .
(٣) سورة الأعراف من الآية : ٢٠٢ .
(٤) السبعة لابن مجاهد : ٣٠١ .
(٥) سورة آل عمران من الآية : ٢١ .
(٦) سورة المؤمنون من الآية : ٥٥ .
(٧) سورة الطور من الآية : ٢٢.

أمدّ فيما يكون محموداً، وفي المكروه مَدَدْت، قال الله تعالى ﴿ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [1]، فوضع نافع الإمداد موضع المد مجازاً وتشبيهًا، وقرأ الباقون ﴿ يَمُدُّونَهُمْ ﴾ بفتح الياء وضم الميم، والوجه: أنه على أصله الذي يجب أن يكون عليه؛ لأنه مستعمل مع الغيّ، فالأحسن أن يكون من المد لا الإمداد؛ لأن الغيَّ مكروهٌ غيرُ محمود، يقال: مددته في الغي أو الجهل أو الطغيان[2]، وقد مضى شاهدُه".[3]

وقد بنى وصفه قراءة " يَمُدُّونَهم " على المعنى، وأن المدّ أكثر ما يستعمل في الشيء المذموم، بخلاف الإمداد الذي إنما يكون مع الأشياء المحمودة، لذا وصف قراءة ﴿ يَمُدُّونَهُمْ ﴾ التي هي من المدِّ بـ" الحسنة"، لأنها المناسبة في المعنى لما جاء بعدها، وهو لفظ ﴿ ٱلْغَيِّ ﴾.

الموضع الثاني عشر

عند بيان ابن أبي مريم القراءتين بالتاء والياء في لفظ ﴿ نَفِدَ ﴾ من قول الله – ﷻ – ﴿ لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى ﴾ [4] رجّحَ القراءة بالتاء فقال: " ﴿ نَفِدَ ﴾ بالياء: قرأها حمزة والكسائي[5]، والوجه: أن الفعلَ مقدمٌ، والتأنيثَ غيرُ حقيقي، وقرأ الباقون: ﴿ نَفِدَ ﴾ بالتاء، والوجه: أن الفاعلَ مؤنثٌ؛ لأنه جمع كلمة، فالأحسن تأنيث الفعل لذلك[6]، وقد مضى كثيرٌ من أمثاله". [7]

---

(١) سورة البقرة من الآية : ١٥.
(٢) إعراب القرآن للنحاس ٨٦/٢ ، ٨٧.
(٣) الموضَح : ٥٧٠ .
(٤) سورة الكهف من الآية : ١٠٩.
(٥) النشر ٣١٦/٢ .
(٦) حجة القراءات لأبي زرعة : ٤٣٦.
(٧) الموضَح : ٨٠٥ ، ٨٠٦.

وقد بنى ترجيحه القراءة بالتاء في ﴿نَفَدَ﴾ على المعنى الذي يقتضيه السياق، فالقراءة بتاء التأنيث ﴿نَفَدَ﴾ تناسب ما جاء بعدها مؤنثاً، وهو لفظ ﴿كَلِمَتُ﴾، وهو وإن كان مؤنثاً غيرَ حقيقي، إلا أن لفظه جاء مؤنثاً، ومفرده مؤنّثٌ كذلك وهو " كلمة"، فلأن يوافق الفعل فاعله في لفظه أولى، حتى يأتي الكلام على نسقٍ واحدٍ.

المبحث الثاني

ترجيح الإمام ابن أبي مريم القراءة

لقوة وجهها اللغوي

اهتمّ الإمام ابن أبي مريم – رحمه الله – بالتوجيه اللغوي للقراءة اهتماماً كبيراً، ولنزعته اللغوية امتلأ كتابُه (الموضَح في وجوه القراءات وعللها) بالأوجه اللغوية، والقواعد النحوية، والصرفية، والبلاغية، كيف لا وإمامه في اللغة أبو علي الفارسي، الذي تأثر به وبحجته تأثيراً كبيراً، وشرح كتابه الإيضاح في النحو، وسمّاه "الإفصاح في شرح الايضاح"، كما مرّ في ترجمة الشيخ.

وقد رجّح ابن أبي مريم بعضَ القراءات على بعض لوجهٍ ترجّح لديه في اللغة، وقد أحصيت المواضع التي رجّحَ فيها ابن أبي مريم القراءة لوجهها اللغوي في النصف الأول من القرآن الكريم، فوجدته فعل ذلك في خمسة مواضع وهي:

الموضع الأول

عند توجيه ابن أبي مريم القراءتين بالرفع والنصب في لفظ ﴿وَٰحِدَةً﴾ من قوله الله – ﷻ – ﴿وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ﴾[1] اختار قراءة النصب في ﴿وَٰحِدَةً﴾ فقال: "﴿وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٞ﴾ بالرفع، قرأها نافع وحده، [2] وذلك أن معنى ﴿كَانَتۡ﴾ ههنا وقعت وحدثت، والمراد إن حدث حكم واحدةٍ أو إرث واحدةٍ، إذ المعنى حكمها لا ذاتها، وقرأ الباقون "وَاحِدَةً" بالنصب، وهو الاختيار؛ لأن ﴿كَانَتۡ﴾ هي الناقصة، والتي قبلها أيضًا كذلك، وهي ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ﴾ ، والمراد: وإن كانت المتروكةُ واحدةً[3]".[4]

---

(١) سورة النساء من الآية : ١١ .

(٢) الإتحاف : ٢٣٧.

(٣) حجة الفارسي ٣/ ١٣٥ ، ١٣٦ .

(٤) الموضَح: ٤٠٥ .

واختار ابن أبي مريم القراءة بالنصب، وبنى اختياره على الوجه اللغوي الذي ارتضاه، وهو: أنّ كان هنا ناقصة ترفع المبتدأ المقدر " المتروكةُ "، وتنصب الخبر، وهو " واحدةً " لذا جاءت منصوبة.

الموضع الثاني

أثناء توجيه ابن أبي مريم القراءتين بالرفع والنصب في لفظ ﴿قَلِيلٌ﴾ من قول الله – ﷻ–﴿مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ [1] اختار قراءة الرفع في ﴿قَلِيلٌ﴾: فقال :" ﴿إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ بالنصب، قرأها ابن عامر وحده[2]، ووجه ذلك: أنه جعل النفي بمنزلة الإيجاب؛ لأن قوله ﴿قَلِيلٌ﴾ ونحوه كلام تام، كما أن قولك: جاءني القوم ونحوه في الايجاب كلام تام، فنصب مع النفي كما نصب مع الايجاب لتمام الكلام فيهما قبل ﴿إِلَّا﴾ ، والنصب هو الأصل في باب الاستثناء إذا تم الكلام دونه، وقرأ الباقون ﴿قَلِيلٌ﴾ بالرفع، وهو الاختيار، على أنه بدل من الضمير الذي في ﴿فَعَلُوهُ﴾ كما تقول: ما جاءني أحدٌ إلا زيدٌ، فزيدٌ بدل من أحدٌ؛[3] لأن معنى ما جاءني أحدٌ إلا زيدٌ، وما جاءني إلا زيدٌ، واحدٌ " [4].

وقد بني اختياره على الوجه اللغوي الذي جنح إليه وهو أن : ﴿قَلِيلٌ﴾ بدل من الضمير المرفوع في ﴿فَعَلُوهُ﴾ ، والضمير حلَّ هنا محلّ الفاعل، والفاعل مرفوع، لذا جاء البدل منه مرفوعاً أيضاً وهو ﴿قَلِيلٌ﴾.

---

(١) سورة النساء من الآية : ٦٦.

(٢) النشر ٢/٢٥٠.

(٣) الكتاب لسيبويه٢/٣١١ وما بعدها ، والكشف لمكي ١/٣٩٢ .

(٤) الموضَح : ٤٢٠ ، ٤٢١.

الموضع الثالث

عند قول الله – ﷻ–﴿ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ ﴾[1] جنح ابن أبي مريم إلى قراءة ﴿ بِٱلۡغَدَوٰةِ ﴾ بالألف دون قراءة " بالغُدوَة " بالواو ، وقال في توجيه القراءتين :"(بالغُدْوَةِ) بضم الغين، وبالواو: قرأها ابن عامر وحده[2]، وكذلك في الكهف[3]، ووجه ذلك: أن غدوة وإن كان اسمًا علماً صيغ لهذا الوقت المعلوم، ومن حقه أن لا يدخله الألف واللام، فإنه قُدِّر فيه التنكير والشياع، وذلك مستمر في جميع هذا الضرب من الأعلام، نحو ما حكاه سيبويه عن العرب: هذا يوم اثنين مباركاً فيه[4]، فلما قدر في غدوة التنكير، جُوِّزَ إدخال الألف واللام عليه، وهذا كما يقال: لقيته فينة[5]، غير مصروف، ثم تقول لقيته الفينة بعد الفينة، فتدخل الألف واللام على ما يستعمل معرفة، وقرأ الباقون ﴿ بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ ﴾ وهو الأوجه؛ لأن (غَدَاةٍ) تكون نكرة وتتعرف بالألف واللام، والحكم فيه كالحكم في عشي والعشي "[6].

وقد بنى ابن أبي مريم ترجيحه القراءة بالألف في لفظ ﴿ بِٱلۡغَدَوٰةِ ﴾ لقوة وجهها اللغوي، وهو ما اتضح من خلال النص السابق .

الموضع الرابع

أثناء توجيه ابن أبي مريم القراءات الواردة في لفظ " أَرۡجِهۡ " من قوله – ﷻ – ﴿ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴾ [7] اختار قراءة " أرجئْهُ " بالهمز

---

(١) سورة الأنعام من الآية : ٥٢ .

(٢) السبعة لابن مجاهد : ٢٥٨.

(٣) من الآية: ٢٨.

(٤) الكتاب ٢٩٣/٣ .

(٥) الفينة : الحين. لسان العرب ٣٢٩/١٣ .

(٦) الموضَح : ٤٦٩ ، ٤٧٠ .

(٧) سورة الأعراف من الآية : ١١١.

الساكن وضم الهاء من غير واو فقال – رحمه الله – : " (أَرْجِئْهْو وَأَخَاهُ) بالهمز وضم الهاء وإثبات الواو قرأها ابن كثير وحده[١]، والوجه: أنه أمر من أرجأت الأمر إذا أخّرته، فالأصل فيه الهمز، والهاء أصله الضم أيضاً وأن يتصل به واو بعده، فأجراه ابن كثير على الأصل في إلحاق الواو، لأنه جعل الهاء فاصلاً بين الساكنين فلم يجتمعا، وقرأ أبو عمرو وعاصم – ياش– ويعقوب "أرجئْهُ" بالهمز وضم الهاء ضمه غير مشعبة، والوجه: أنه مجرى على الأصل في إثبات الهمزة وضم الهاء، فإن ضم الهاء فيما سكن ما قبله إذا لم يكن بياء لا يجوز في العربية غيره، وأما ترك إلحاق الواو للهاء، فلأجل أن الهاء حرفٌ خفيٌّ، وليس بحاجز حصين، فلو ألحق الواو وما قبل الهاء ساكن، كان كأن الساكنين التقيا؛ لأن الهاء كأنه لم يعتد به[٢]، وهذه القراءة أحسن في العربية من الأولى، وقرأ نافع (أَرْجِهِ) بلا همز وبكسر الهاء كسرة مختلسة" [٣].

ورجّح ابن أبي مريم القراءة بالهمز " أرجئْهُ " وضم الهاء من غير صلة، وبنى ترجيحه على قوّتها عند أهل اللغة والعربية، وعبّر عن ترجيحه بوصفه هذه القراءة بأنها أحسن من القراءة الأولى وهو يقصد قراءة ابن كثير (أَرْجِئْهْو) التي وصل فيها الهاء المضمومة بواو، والواو ساكنة، وقبلها همزة ساكنة، وبينهما حرف الهاء، وهو حرف ضعيف فكأن الساكنين الهمزة والواو التقيا، وهو أمرٌ غيرُ محمودٍ في العربية؛ لذا جاء الترجيح لقراءة حذف الواو من هذه الناحية .

(١) الإتحاف: ٢٨٦.
(٢) الكشف ٢/٤٧٠ ، ٤٧١.
(٣) الموضَح : ٥٤٣

الموضع الخامس

عند قول الله – ﷻ– ﴿وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾[1] بيّن أبي مريم الأوجه القرائية في لفظ﴿حَٰشَ لِلَّهِ﴾، ورجّح القراءة بدون ألف فيها فقال – رحمه الله –: " "حَاشَا للهِ" وبالألف في الحرفين[2] قرأها أبو عمرو وحده، ووقف عليها بغير ألف[3]، والوجه: في حاشا أنه فِعْلٌ على وزن (فَاعَلَ)، وهو مأخوذ من الحشا الذي هو الناحية، ومعناه جانب وباعد، كأنه صار في حشًا أي في ناحية، والمراد صار يوسف في ناحية مما قُرِفَ[4] به، لله، أي لخوفه ومراقبته، وقال بعضهم: حاشا لله وحاشا الله بمعنى معاذ الله، كما يُقال هيهات كذا وهيهات كذا، باللام وغير اللام، قال: وحاشا فعل في الأصل، ولكنه جُعل كالاسم، أُضيف باللام مرة وبغير اللام أخرى، وأُريد به المجانبة، وإضافته إلى الله تعالى على معنى أنه لا يفعل ذلك[5]، والقول الأول أقوى، وأما حذف أبي عمرو في الوقف؛ فلأن الوقف موضع حذف وتغيير، وقرأ الباقون "حَاشَ" بغير ألف في الحالين، والوجه: أن الأفعال التي اعتلّت لاماتُها قد يُحذف منها اللام تخفيفًا نحو قولك: لا أدْرِ، وكقولهم: أصاب الناسَ جُهْدٌ ، ولَوْ تَرَ أهلَ مكة[6]، وكقول الرؤبة:

وصّانِي العَجّاجُ فِيما وصَّنِي [7]

---

(١) سورة يوسف من الآية : ٣١.

(٢) من الآيتين : ٣١ ، ٥١ .

(٣) النشر ٢ / ٢٩٥ .

(٤) أي : مما اقترفه من ذنب . اللسان (قرف) .

(٥) معاني القرآن للفراء ٤٢/٢ ، وإعراب القرآن ومعانيه للنحاس ٢ / ٢٠١ .

(٦) الدر المصون ٢٥٥٦/١.

(٧) الإنصاف في مسائل الخلاف ٢ /٣٦٧، وخزانة الأدب ١ / ١٣١، وشرح الشواهد الشعرية ٣١٠/٣، والشاهد حذف الألف من وصاني، واكتفى عنها بالفتحة.

ويؤيد هذه القراءة أنهم زعموا أن الألف في المصحف محذوفٌ، وهذا الذي دعا أبا عمرو إلى أن قرأها في حال الوقف بغير ألف؛ لأن الكتابة مبنيةٌ على الوقف".[١]

وهكذا أيّد ابن أبي مريم القراءة بدون ألف، " حاش لله "، وقد بنى تأييده القراءة على رسم المصحف الشريف، حيث رسمت الكلمة في المصحف بدون ألف بعد الشين، واستدلّ على ذلك بأن أبا عمروٍ قرأها بالألف في حالة الوصل، أما إذا وقف عليها حذف الألف.

وقد عبّر ابن أبي مريم بقوله: "زعموا أن الألف في المصحف محذوف"، والألف قطعاً محذوفة في جميع المصاحف العثمانية، ولم يثبت أنّ أحداً رأى الألف في أحد المصاحف، ولم تثبت الألف إلا في مصحف عبد الله بن مسعود – ﷺ–، قال ابن خالويه :" وقرأ الباقون " حاش لله " بغير ألف في الوصل، ويجب في قراءتهم أن يقفوا بغير ألف، لأن في مصحف عثمان وابن مسعود – رضي الله عنهما– " حاش لله بغير ألف فيهم، كما قال أبو عبيد عن أب توبة عن الكسائي قال: "في مصحف عبد الله بألف"، قال : "وذهب أبو عمرو إلى محض الفعل، لأن العرب تقول : حاشى يحاشي محاشاة فهو محاشٍ: إذا استثنى كقولك : جاءني القوم حاشى زيد "[٢]

(١) الموضَح : ٦٧٨ ، ٦٧٩ .

(٢) إعراب القراءات السبع ١ / ٣٠٩ .

المبحث الثالث

ترجيح الإمام ابن أبي مريم القراءة

لكونها اللغة الفصيحة المشهورة

في بعض المواضع من كتاب (الموضَح في وجوه القراءات وعللها) وجّه ابن أبي مريم القراءة على أنها لغة لبعض القبائل العربية، كلغة أهل الحجاز، أو تميم، أو قيس، أو غيرهم، وكثيراً ما سوّى ما بين القراءتين في المنزلة، إلا أنه في مواضع بعينها رجّح القراءة؛ لكونها اللغة الأشهر والأفصح التي تجري على لسان بعض القبائل العربية، وقد أحصيت المواضع التي رجّح فيها القراءة لكونها اللغة الأفصح في النصف الأول من القرآن الكريم، فوجدته فعل ذلك في خمسة مواضع من كتابه (الموضَح) والمواضع هي :

الموضع الأول

عند قول الله – ﷻ–﴿ قَالَ هَلۡ عَسَيۡتُمۡ ﴾ [1] وجّه ابن أبي مريم القراءتين في لفظ ﴿ عَسَيۡتُمۡ ﴾ بفتح السين وكسرها، واختار القراءة بفتح السين فقال: "﴿ عَسَيۡتُمۡ ﴾ بكسر السين، قرأها نافع وحده[2]، وكذلك في سورة القتال[3]، ووجه ذلك: أن العرب تقول: هو عسٍ بذاك، مثل شجٍ وحرٍ، فكما أن قولك شجٍ من شجيت، فكذلك عسٍ من عسيت، ثم إن فعَلت وفعِلت يجيئان لغتين لمعنى واحد مثل: نقَمت ونقِمت وورَي الزند وورِى، فكذلك عسَيت وعسِيت[4]، وقرأ الباقون ﴿ عَسَيۡتُمۡ ﴾ بفتح السين، وهي المختارة؛ لأن اللغة الفصيحة

---

(١) سورة البقرة من الآية : ٢٤٦ .

(٢) التيسير :٨١.

(٣) من الآية : ٢٢ .

(٤) الصحاح ٦/ ٢٤٢٦، ولسان العرب ٥٥/١٥ .

المشهورة وهي (عَسَيْتُ) بالفتح، و(عسِيت) بالكسر لغة رديئة يكرهها الفصحاء، وإن كانت لغة لبعض العرب "[1] .

وقد اختار ابن أبي مريم قراءة فتح السين ﴿عَسَيْتُمْ﴾، وبنى اختياره على أنها اللغة الفصيحة المشهورة، أما القراءة الأخرى "عسِيتم" بكسر السين فهي لغة رديئة يكرهها الفصحاء، والحقُّ : أن القراءة بكسر السين قراءة متواترة ثابتة عن رسول الله – ﷺ–، وقد بلغت الغاية في الفصاحة والبلاغة، فهي كغيرها من القراءات الثابتة كلها منزلة من عند الله – ﷻ–، وعلى درجة واحدة، ومسافة واحدة من الفصاحة .

أما وصف ابن أبي مريم قراءة الكسر "عَسِيتم " بأنها لغة رديئة فهذا لا يليق أبداً مع الأحرف الصحيحة الثابتة، وما كان عند بعض العرب رديئاً وغريباً لغةً، فقد يكون عند البعض الآخر مشهوراً فصيحاً .

ولم يطّلع هو أو غيره على جميع اللهجات العربية حتى يحكم عليها بالرديئة، فلعله – رحمه الله – جانبه الصواب في التعبير – غفر الله لنا وله –، ومما يُحمَد له في هذا النص السابق أنه ختمه باعتراف صريح وهو: أن الكسر لغةٌ لبعض العرب فقال : " وإن كانت – أي القراءة بكسر السين – لغة لبعض العرب " .

الموضع الثاني

عند قول الله – ﷻ–﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾[2] ذكر ابن أبي مريم القراءتين في لفظ ﴿مَيْسَرَةٍ﴾، ورجّح قراءة فتح السين لأنها القراءة الأكثر في اللغات العربية، قال ابن أبي مريم : " ﴿مَيْسَرَةٍ﴾ بضم السين، قرأها نافع

(١) الموضَح : ٣٣٥ .

(٢) سورة البقرة من الآية : ٢٨٠ .

وحده[١]، والباقون على الفتح، وكلهم – أعني الثمانية – نوّن التاء، وهما لغتان: ميسَرة وميسُرة[٢]، إلا أن مفعَلة بالفتح أكثر في كلامهم، وقد جاء مفعُلة بالضم أيضًا في نحو: المشرُقة والمشرُبة والمقبُرة[٣]، وليس في كثرة مفعَلة بالفتح، فالقراءة الأولى أولى " [٤].

وقد سوّى ابن أبي مريم بين القراءتين الفتح والضم في بادئ الأمر فقال :" هما لغتان ميسَرة وميسُرة"، ثم بين أن مفعَلة بالفتح أكثر وروداً في اللهجات العربية، وقد عبر عن ترجيحه قراءة فتح السين بقوله : فالقراءة الأولى أولى، وهو يقصد هنا قراءة فتح السين، وقد يلتبس على البعض أنه رجّح قراءة ضم السين " ميسُرة " لأنه ذكرها أولاً، لكن بإمعان النظر في كلام ابن أبي مريم وجدت أنه يقصد بترجيحه قراءة الفتح لا قراءة الضم .

الموضع الثالث

عند قول الله – ﷻ– ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ مِثْلُهُۥ ﴾[٥] ذكر ابن أبي مريم القراءتين الواردتين في لفظ ﴿ قَرْحٌ ﴾ واختار قراءة فتح القاف، وأخذ بها؛ لكونها لغة أهل الحجاز فقال: "﴿ قَرْحٌ ﴾ بضم القاف، قرأها حمزة والكسائي و–ياش– عن عاصم[٦]، وقرأ الباقون ﴿ قَرْحٌ ﴾ و(القَرْح) بفتح القاف،

---

(١) النشر ٢ / ٢٣٦ .

(٢) الكتاب ٤ / ٩١ .

(٣) المشرُقة بضم الراء وفتحها وكسرها : الموضع الذي تشرق عليه الشمس ، والمشرُبة بالضم: الغرفة ، والمقبرة بضم الباء وفتحها : مفرد المقابر. اللسان: شرق وشرب وقبر .

(٤) الموضَح : ٣٥١ .

(٥) سورة آل عمران من الآية : ١٤٠ .

(٦) العنوان لابن خلف الأنصاري : ٨١.

(والقُرح): لغتان كالضَّعف والضُّعف والفَقر والفُقر، والفتح لغة أهل الحجاز، والأخذ بها أولى، وقال الفراء: هو بالفتح: الجرح، وبالضم: ألم الجرح[١]"[٢].

وبعد أن بين ابن أبي مريم أن القراءتين لغتان جاريتان على ألسنة العرب، جنح إلى قراءة ﴿قَرْحٌ﴾ بفتح القاف، وأخذ بها وقال: إن الأخذ بها أولى لكونها لغة أهل الحجاز.

الموضع الرابع

عند قول – الله ﷻ–﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ [٣] ذكر ابن أبي مريم القراءات الموجودة في لفظ " يَحْزُنكَ " في كل مواضع القرآن الكريم، ثم رجّحَ قراءة فتح الياء وضم الزاي " يَحْزُنكَ" فقال: " يَحْزُنكَ" بضم الياء وكسر الزاي، قرأها نافع وحده، وكذلك ﴿قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ﴾ [٤] و ﴿لَيَحْزُنُكَ﴾[٥] ﴿لِيَحْزُنَ﴾[٦] وأشباهها، إلا قوله تعالى في الأنبياء ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ﴾[٧] فإنه بفتح الياء وبضم الزاي[٨]، والوجه: أنه جعله من أحزن[٩]، وهي لغة غير فاشيةٍ، والأظهر حزن، وأما قراءته في الأنبياء، فلما أراد من الأخذ باللغتين، وقرأها الباقون "يَحْزُنكَ" بفتح الياء وضم الزاي، وكذلك في كل القرآن، لأن

---

(١) معاني القرآن للفراء ٢٣٤/١.
(٢) الموضَح : ٣٨٤ .
(٣) سورة آل عمران من الآية : ١٧٦ .
(٤) سورة يوسف من الآية : ١٣ .
(٥) سورة الأنعام من الآية : ٣٣ .
(٦) سورة المجادلة من الآية : ١٠ .
(٧) من الآية : ١٠٣ .
(٨) التيسير : ٩١ ، ٩٢ .
(٩) سورة آل عمران من الآية : ١٧٦ .

اللغة الجيدة المشهورة هي حزنه بغير ألف، أي جعل فيه حزنًا[١]، كما تقول كحلته ودهنته، أي جعلت فيه كحلاً ودهنًا، فهذا متعدٍّ أولاً، ويشبه أن يكون أحزن معدى من حزِن بكسر الزاي من غير ألفٍ[٢]."[٣] وقد جنح ابن أبي مريم إلى قراءة فتح الياء وضم الزاي" يَحْزُنكَ"، لأنها اللغة ألأظهر والأفشى، أما قراءة " يُحزِنك" بضم الياء وكسر الزاي وصفها ابن أبي مريم بأنها لغةٌ غيرُ فاشيةٍ، لذا لم يرجحْها.

الموضع الخامس

﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ ﴾[٤] ذكر ابن أبي مريم القراءتين في لفظ " مُتُّمْ" بكسر الميم وضمها، وجنحَ إلى قراءة ضم الميم فقال عند توجيه القراءتين:" "مُتُّمْ" بكسر الميم، قرأها نافع وحمزة والكسائي[٥]، وهذه لغة شاذة، أعني مِت تموت، ونظيره: فضِل يفضل بكسر العين في الماضي وضمها في المستقبل، وقرأ الباقون "مُتُّمْ" بضم الميم، وهي اللغة المشهورة المنقاسة، أعني مُتّ بالضم تمُوت[٦]، نحو قُلت تقول، وطُفت تطوف"[٧]

ومن خلال حديث الإمام ابن أبي مريم عن القراءتين ووصفه قراءة كسر الميم " مِتّم " بأنها لغة شاذة، وقراءة ضم الميم بأنها اللغة المشهورة، وهذا يعني أنه مال إلى قراءة ضم الميم.

---

(١) اللسان (حزن) .
(٢) الكشف ١ / ٣٦٥ .
(٣) الموضَح: ٣٩١ .
(٤) سورة آل عمران من الآية : ١٥٧ .
(٥) النشر ٢ / ٢٤٢ ، ٢٤٨ .
(٦) حجة القراءات لأبي زرعة : ١٧٨ .
(٧) الموضَح : ٣٨٨ .

وأقول : إن القراءة بكسر الميم " مِتّم " قراءة صحيحة متواترة ثابتة عن رسول الله – ﷺ – قرأ بها غيرُ واحد من القراء، وقد بلغت الغاية في الفصاحة والبلاغة والشهرة، وليس معنى أنها شذّت لغة عند ابن أبي مريم، أنها شاذة عند جميع القراء وأهل اللغة، فما يكون شاذاً لغة عند ابن أبي مريم قد يكون صحيحاً فصيحاً مشهوراً عند غيره، ولعله جانب الصواب في التعبير.

المبحث الرابع

ترجيح الإمام ابن أبي مريم القراءة

حملاً على النظائر

الإمام ابن أبي مريم وجَّه كثيراً من القراءات القرآنية، واحتجّ لها ، وذكر عَلَّة من قرأ بها من القراء إلا أنه رجّح في مواضع عديدة من كتابه (الموضَح) بعض القراءات، وجاءت ترجيحاته في بعض المواضع لكون القراءة لها نظير آخر في القرآن الكريم، واعتبر هذا النظير حجّة في تقوية القراءة واختيارها أو ترجيحها، وقد أحصيت المواضع التي رجّح فنها القراءة لوجود نظير لها في القرآن الكريم ولا خلاف فيه بين القراء في نصف القرآن الكريم الأول، فوجدته فعل ذلك في خمسة مواضع وبيانها كالتالي :

الموضع الأول

عند قول الله – ﷻ–﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ ﴾ [(١)]، وجّه ابن أبي مريم القراءتين الموجودتين في لفظ " تَمَسُّوهُنَّ "، واختار القراءة بغير ألف، فقال:" " تُمَاسُّوهن " بالألف وضم التاء، قرأها حمزة والكسائي[(٢)] في الحرفين[(٣)]، وكذلك في الأحزاب[(٤)]، ووجه ذلك: أن الفعل مبني على المفاعلة؛ لأنه عبارة عن فعل يشملهما حكمه، ويوصف كل واحد منهما بأنه قد مس صاحبه، كما يقال: نَكَحَ الرجل المرأة ونَكَحتْه، وفي المثل: انكحيني وانظري[(٥)]، ثم إن (فَاعِلَ) أيضًا قد جاء بمعنى (فَعَلَ) نحو: عاقبت اللص وطارقت

---

(١) سورة البقرة من الآية : ٢٣٦.

(٢) السبعة لابن مجاهد: ١٨٣ .

(٣) أي موضعي البقرة من الآيتين : ٢٣٦ ، ٢٣٧ .

(٤) من الآية : ٤٩ .

(٥) الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلّام : ١٣٠ .

النعل، فيجوز أن يكون هذا منه[١]، وقرأ الباقون "تَمَسُّوهُنَّ" بفتح التاء من غير ألف في السورتين، وهو الاختيار؛ لأنه قد جاء في غير هذا الموضع من القرآن بغير ألف نحو ﴿ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ﴾ [٢] فجاء على فعل دون فاعل "[٣].

وقد بنى ابن أبي مريم اختياره القراءة بدون ألف على أن هذا اللفظ : "تَمَسُّوهُنَّ" جاء نظيره في مواضع أخرى من القرآن الكريم بغير ألف .

الموضع الثاني

عند قول الله – ﷻ–﴿ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾[٤]– بيّن ابن أبي مريم القراءتين في لفظ " رُشْدًا "، ورجح القراءة بفتح الراء والشين "رَشَداً" قال: " بفتح الراء والشين فقال – رحمه الله – : "رَشَداً" قرأها أبو عمرو ويعقوب، وقرأ الباقون "رُشْدًا" بضم الراء وإسكان الشين[٥]، والوجه: أن رُشْدًا ورَشَدًا لغتان كبُخْلٍ وبَخَلٍ[٦]، والقراءة بفتح الراء والشين أرجح؛ لأنهم اتفقوا على الفتح في قوله ﴿ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴾[٧]؛ لأنه رأس آية، وكذلك هذا رأس آية، فينبغي أن يكون مثله"[٨].

---

(١) حجة الفارسي ٢ /٣٦ : ٢٣٨ .

(٢) سورة آل عمران من الآية : ٤٧.

(٣) الموضَح :٣٢٩ ، ٣٣٠ .

(٤) سورة الكهف من الآية : ٦٦.

(٥) النشر ٢ / ٣١١ .

(٦) قال ابن خالويه : " رُشْداً " يقرأ بضمتين، وفتحتين، وبضم الراء وإسكان الشين، فالحجة لمن قرأه بضمتين: أنه اتبع الضم كما ترى: الرُّعْبَ والسُّحْتَ، والحجة لمن قرأه بفتحتين: أنه أراد به الصّلاح في الدّين. الحجة في القراءات السبع : ٢٢٦ .

(٧) سورة الجن من الآية : ١٤.

(٨) الموضَح : ٧٨٩.

وقد كان ترجيح ابن أبي مريم لقراءة فتح الراء والشين " رَشَدا" واضحاً، وبنى هذا الترجيح على أن هذا الموضع له نظير آخر في القرآن الكريم جاء على شاكلته وهيئته، وكذا لاتفاق القراء لقراءته " رَشَدًا " في موضع سورة الجن الذي جاء رأس آية أيضاً مثل ما جاء في هذا الموضع، لذا رُجِّحت قراءة فتح الراء والشين .

الموضع الثالث

عند قول الله – ﷻ–﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ﴾[1]، بيّن ابن أبي مريم القراءتين الموجودتين في لفظ " يَغُلَّ"، ورجح قراءة "يَغُلّ" بفتح الياء وضم الغين فقال:" بفتح الياء وضم الغين، قرأها ابن كثير وأبو عمرو وعاصم[2]، والمراد ما كان لنبيٍ أن يخون أمته في الغنيمة، وذلك أن النبي – ﷺ– جمع الغنائم في غزاة ليقسمها، فجاءه جماعة، فقالوا: ألا تقسم بيننا غنائمنا؟ فقال – ﷺ–: «لو أن لكم عندي مثل أحدٍ ذهبًا ما منعتكم دينارًا، أترونني أغلّكم مغنمكم» فنزلت هذه الآية[3]، وعلى هذه القراءة ورد في القرآن ما جاء من نظيره نحو ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[4] و﴿ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ ﴾[5]على إسناد الفعل إلى الفاعل، وقلما يقال: ما كان لزيدٍ أن يضرب، على إسناد الفعل إلى المفعول به، وقرأ الباقون «يُغَلّ» بضم الياء وفتح الغين، والوجه: أن المراد ينسب إلى الغلول، وهو الخيانة في المغنم، يقال: أكفرته أي نسبته إلى الكفر،

(١) سورة آل عمران من الآية : ١٦١.
(٢) التيسير للداني : ٩١ .
(٣) تفسير الرازي ١ / ١٢٩٣ ، واللباب في علوم الكتاب ٢٤/٦.
(٤) سورة آل عمران من الآية : ١٤٥ .
(٥) سورة يوسف من الآية : ٧٦ .

ويجوز أن يكون المعنى: ليس لأحدٍ أن يغله، أي يخونه في الغنيمة؛ لأن الغلول وإن كانت كبيرةً فإنه معه وبحضرته أعظم إثمًا". (١)

وبالنظر إلى كلام ابن أبي مريم السابق نجد أنه رجح القراءة بفتح الياء وضم الغين، وهو ترجيحٌ ضمني – أي لم يذكر لفظ " رجّح" أو ما شابهه صراحة – وإنما استُنتِج هذا الترجيح من خلال فهم كلامه وإمعان النظر فيه، وقد بني ترجيحه قراءة "يَغُلَّ"على وجود نظير لها في القرآن الكريم، وهذه المرة لم يكن النظير متوافقاً كل التوافق مع قراءة " يَغُلَّ" وإنما كان التوافق من ناحية زنةِ الجملة نفسها، حيث إن جملة ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ﴾ جاء على زِنَتِها جملة ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ ﴾، وكذا على زنةِ جملة ﴿ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ ﴾"، والملاحظ أن جملة "وما كان لـ ..... " يأتي الفعل عقِبها مفتوح الأول، وهي عين ما جاءت به قراءة " يَغُلَّ"، فكان على شاكلتها قراءة " تَمُوتَ " ، وقراءة " لِيَأْخُذَ "، وهذان الموضعان لا خلاف بين القراء في فتح أولهما.

الموضع الرابع

عند قول الله – ﷻ–﴿ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا ﴾(٢)، وجّه ابن أبي مريم القراءتين في لفظ "يُبْدِّلَهُمَا" بالتشديد والتخفيف، وكذا في بقية المواضع في القرآن الكريم، ورجّح قراءة " يُبْدِلَهُمَا" بالتشديد فقال:" "أَنْ يُبْدِّلَهُمَا" بالتشديد: قرأها نافع وأبو عمرو، وكذلك في النور ﴿ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم ﴾(٣)، وفي التحريم ﴿ أَن يُبْدِلَهُۥٓ ﴾(٤)، وفي القلم ﴿ أَن يُبْدِلَنَا ﴾ (٥)، وقرأ الباقون (يُبْدِلَهُمَا) بالتخفيف،

---

(١) الموضَح : ٣٨٩ ، ٣٩٠ .

(٢) سورة الكهف من الآية : ٨١.

(٣) من الآية : ٥٥.

(٤) من الآية : ٥ .

(٥) من الآية : ٣٢.

وكذلك في الجميع، إلا أن ابن عامر وحمزة والكسائي و-ص- عن عاصم قرءوا في النور وحده بالتشديد، وفي الباقي بالتخفيف[١]، والوجه: أن بَدَّل مثل أبدل، وكلاهما قد جاء في القرآن، والتبديل فيه أكثر من الإبدال، وقال أبو العباس ثعلب[٢]: التبديل تغيير الصورة إلى صورةٍ غيرها، والجوهرة باقية بعينها، والإبدال تنحية الجوهرة واستئناف جوهرة أخرى[٣]، هذا كلامه، واحتج بقول أبي النجم:

عَزْلُ الأمير للأمِيرِ المبْدَل[٤]

قال: ألا ترى أن نحي شخصًا وجعل شخصًا آخر مكانه، واستدل أيضًا بقوله تعالى ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [٥]؛ لأنها تغيرت بالعذاب، فرُدّت إلى صورة جلودهم الأولى لما نضجت تلك الصورة، فالجوهرة واحدةٌ والصورة مختلفةٌ "[٦].

من خلال كلام ابن أبي مريم السابق نرى أنه سوّى بين القراءين في المنزلة لكنه نبه على أن أكثر مواضع القرآن الكريم جاء بالتشديد، وهو ترجيح ضمني وليس صريحاً كعادته التي سار عليها في (الموضَح)، والذي يرجّح كفة أنه

---

(١) النشر ٢ / ٣١٤ ، ٣٣٣ .

(٢) هو: أحمد بن يحيى بن يزيد بن سيار الشيباني الإمام اللغوي أبو العباس ثعلب النحوي البغدادي ثقة كبير، روى القراءة : سلمة بن عاصم ويحيى بن زياد الفراء، كان يطالع كتابا في الطريق فصدمته فرس فأوقعته في بئر فاختلط وأخرج منها فمات في اليوم الثاني يوم السبت عاشر جمادى الأولى سنة إحدى وتسعين ومائتين ودفن بباب الشام من بغداد. غاية النهاية ١٤٨/١، ١٤٩.

(٣) الدر المصون ٦ / ٥٣٨ ، ٥٣٩ .

(٤) معاني القرآن للفراء٢ / ٢٩٥ ، ولسان العرب ١١ / ٤٨ .

(٥) سورة النساء من الآية : ٥٦.

(٦) الموضَح: ٧٩٤ ، ٧٩٥ .

مال إلى قراءة التشديد هو استشهاده لها بنظيرها في القرآن الكريم، وبما ورد في أشعار العرب .

الموضع الخامس

عند بيان ابن أبي مريم القراءات الموجودة في لفظ " فَأُمَتِّعُهُ" من قول الله – ﷻ– ﴿ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ ﴾[1]، وجّه القراءتين بالتخفيف والتشديد في التاء، وجنح إلى قراءة التشديد فقال: "(فَأُمْتِعُهُ) بسكون الميم وتخفيف التاء، قرأها ابن عامر وحده[2]، لأنه جعله من أمتع، فإن أمْتَعه ومتّعه واحد، كأفْرَحَه وفرَّحَه، والإمتاع كثير في كلام العرب، وقرأ الباقون " فَأُمَتِّعُهُ" بفتح الميم وتشديد التاء، على أنه من متّع دون أمتع؛ لأن كل ما في القرآن من هذا النظم فهو على لفظ التمتيع دون الإمتاع[3] نحو: ﴿يُمَتِّعْكُم ﴾[4] و﴿مَّتَّعْنَاهُ ﴾[5] و﴿مَّتَّعْنَاهُمْ ﴾[6]، فهذه القراءة أولى؛ لأن عامة ما في القرآن عليها"[7].

ومن خلال النص السابق نجد أن ابن أبي مريم رَجَّح قراءة التشديد " فَأُمَتِّعُهُ"، وبني ترجيحه على أن أكثر النظائر التي جاءت في القرآن الكريم كانت مشددة، واتفق القراء على قراءتها بالتشديد دون خلاف بينهم، لذا عبّر عن اختياره قراءة التشديد بقوله "فهذه القراءة الأولى".

---

(١) سورة البقرة من الآية : ١٢٦.

(٢) النشر ٢ / ٢٢٢ .

(٣) الكشف ١ / ٢٦٥ .

(٤) سورة هود من الآية : ٣ .

(٥) سورة القصص من الآية : ٦١ .

(٦) سورة الشعراء من الآية : ٢٠٥ .

(٧) الموضَح: ٣٠١.

المبحث الخامس

ترجيح الإمام ابن أبي مريم القراءة

لكونها قراءة عامة القراء

عَمِد ابن مريم في بعض المواضع التي وَجَّه القراءة فيها أن يرجحها لكونها قراءة الجمهور، أو قراءة غالب القراء، وهذا النوع لم يكثر منه ابن أبي مريم، بل جاء في مواضع قليله من كتابه (الموضَح)، وقد أحصيت هذه المواضع في النصف الأول من القرآن الكريم فوجدته فعل ذلك في ثلاثة مواضع هي :

الموضع الأول

عند قول الله – ﷻ– في أول سورة آل عمران﴿ الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾[1]، رجّح ابن أبي مريم قراءة الجمهور بوصل الألف من اسم (ٱللَّهُ)، وفتح الميم من "الٓمٓ " فقال:" الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ" اتفق القراء على وصل الألف من اسم الله وفتح الميم من"الٓمٓ" وروى – ياش– عن عاصم[2] فقطع الألف من اسم الله، (وأسكن) الميم من "الٓمٓ"، ووجّه قراءة الجماعة: أن هذه الألف أعني ألف (الله) ألف وصل، يسقط إذا اتصل بشيء قبله، فالواجب أن يسقط ههنا لاتصاله بـ (الٓمٓ)، والميم من (الٓمٓ) كانت ساكنة كما أن سائر حروف التهجي مبنية على السكون، فالتقت مع لام التعريف من اسم الله، فحركت الميم بالفتح لالتقاء الساكنين هي ولام المعرفة، ولم تحرك هذه الميم للساكن الذي قبلها؛ لأن حروف التهجي قد يجتمع فيها ساكنان نحو: (كهيعص) ونحوها لبنائها على الوقف، ولا يجوز أن تكون حركة الميم منقولةً إليها عن ألف (الله)؛ لأن هذه الألف لا توجد في حال الوصل، فكيف يكون لها حركة تنقل؟ وأما ما روى – ياش– عن عاصم من قطع الألف فيمكن أن يكون قدر الوقوف على

---

(١) سورة آل عمران من الآيتين: ١ ، ٢.

(٢) السبعة: ٢٠٠ .

الميم، ثم استأنف (الله)، فقطع الهمزة على نية الابتداء بها[١]، والوجه ما عليه الجمهور". [٢]

وبنى ابن ابي مريم ترجيحه القراءة بوصل الألف من لفظ الجلالة "الله" وفتح الميم من "الٓمٓ" على أن هذه القراءة هي قراءة الجمهور – أي جمهور القراء ، أي أن أكثر القراء عليها، بينما انفرد شعبة عن عاصم بالوجه الآخر، وهو: إسكان الميم من "الٓمٓ" وقطع الألف من لفظ الجلالة "الله" .

الموضع الثاني

عند قول الله – ﷻ–﴿ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ ﴾[٣]، ذكر ابن أبي مريم القراءتين في لفظي "فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ "، ومال إلى قراءة " فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ " فقال – رحمه الله – : " (فَيُقْتَلُونَ) بضم الياء وفتح التاء (وَيَقْتُلُونَ) بفتح الياء وضم التاء، على تقديم فعل المفعولين على فعل الفاعلين قرأها حمزة والكسائي[٤]، والوجه: أنهم يقتلون في الغزو، ومن يبقون منهم يقتلون الكفار، كما قال الله تعالى ﴿ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ ﴾ [٥] أي: ما وهن من بقي منهم لقتل من قُتِل، ويجوز أن يكون المعنى يقتلون الكفار بعد، ثم يقتلون بعد ذلك، فقدم وأخر، وأتى بالواو؛ لأن الواو لا يقتضي ترتيبًا، وقرأ الباقون (فَيَقْتُلُونَ) بفتح الياء وضم التاء(فَيَقْتُلُونَ) بضم الياء وفتح التاء، على تقديم فعل الفاعلين على فعل المفعولين، والوجه:

---

(١) الكشف ١/ ٣٣٤، ٣٣٥.

(٢) الموضَح: ٣٦٠ ، ٣٦١.

(٣) سورة التوبة من الآية: ١١١.

(٤) إتحاف فضلاء البشر: ٣٢٥.

(٥) سورة آل عمران من الآية: ١٤٦.

أنهم يقتلون الكفار أولاً ثم يستشهدون[١]، وهذا الوجه أظهر، والقراءة به أكثر"[٢].

من خلال النصّ السابق نجد أن ابن أبي مريم أنه جنح إلى قراءة أكثر القراء"فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ "، فقوله:" وهذا الوجه أظهر" يؤكد ترجيحه القراءة السالفة، وقد بنى ترجيحه على أساسين اثنين هما: الأول: المعنى: حيث رأي أن هذه القراءة تنبئ أن المسلمين يقتلون الكفار أولاً ثم يستشهدون.

الثاني: أن هذه القراءة هي قراءة أكثر القراء، حيث لم يقرأ بالقراءة الثانية سوى حمزة والكسائي.

الموضع الثالث

عند قول الله –ﷻ–﴿ قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ ﴾[٣]، وجّه ابن أبي مريم القراءتين في لفظ "وَلَآ أَدۡرَىٰكُم "، ورجح قراءة : " وَلَآ أَدۡرَىٰكُم " بألف بعد اللام من "ولا"، على أنها نافية فقال – رحمه الله– : ""ولأَدْرَاكُم بِهِ" بلام التأكيد من غير لا قرأها ابن كثير وحده – ل–، إنما يجعلها لامًا دخلت على" أَدۡرَىٰكُم "، وفي رواية البزي عنه " وَلَآ أَدۡرَىٰكُم " بهمزة بعد لا[٤]، والوجه: في "لأَدْرَاكُم" بلام التأكيد من غير لا، أنه دخل فيه لام التأكيد، لما كان معطوفًا على جواب لو، وليس فيه نفي، وإن كان في المعطوف عليه النفي، والتقدير: لو شاء الله لما تلوته عليكم ولأدراكم به، أي ولأعلمكم الله تعالى به من غير أن أتلوه عليكم؛ فلما كان أدراكم معطوفًا على قوله "مَا تَلَوۡتُهُۥ" وهو جواب لو، أدخل على أدراكم اللام؛ لأن المعطوف والمعطوف

---

(١) الحجة للفارسي ٤/ ٢٣١ ، ٢٣٢ .

(٢) الموضَح : ٦٠٨ ، ٦٠٩ .

(٣) سورة يونس من الآية : ١٦ .

(٤) النشر ٢ / ٢٨٢ .

عليه في حكم واحد، وجاز دخول اللام في جواب لو فكذلك فيما عطف عليه، وقرأ الباقون " وَلَآ أَدۡرَىٰكُم " بهمزة بعد لا، مثل رواية البزي، والوجه: أن (لا) للنفي، وقد دخل على (أَدْرَاكُم)، فانعطف على النفي المتقدم في قوله " مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ " ولا أعلمكم الله تعالى به أيضًا[1]، وهي قراءة الجمهور، وهي القراءة الفاشية ".[2]

ومن خلال كلام ابن أبي مريم السابق نجد أنه جنح ضمناً وليس صراحةً إلى قراءة: " وَلَآ أَدۡرَىٰكُم " بإثبات ألف بعد اللام على النفي لأمرين: أولهما: أنها قراءة الجمهور، حيث لم يقرأ بالأخرى سوى قنبل عن ابن كثير، وثاني الأمرين: شهرة هذه القراءة عن القراءة الأخرى لذا عبر بقوله: " وهي القراءة الفاشية"، أي الأكثر شيوعاً وشهرة .

(١) الكشف لمكي بن أبي طالب ٥١٤/١ ، ٥١٥.

(٢) الموضَح : ٦١٦، ٦١٧ .

المبحث السادس

ترجيح الإمام ابن أبي مريم القراءة

لأنها قراءة أحد الصحابة – رضي الله عنهم -

في مواضع قليلة من كتاب "الموضَح " رجّح ابن أبي مريم القراءة لكونها قراءة أحد الصحابة الكرام – رضي الله عنهم –، ووجودها في مصاحفهم الخاصة بهم، وهي ليست قراءة متواترة، وإنما هي قراءة شاذة لعدم إجماع الصحابة – رضي الله عنهم – عليها، ولفقدها شرط التواتر فلم تبلغ درجته، وقد فعل ذلك في موضعين اثنين في نصف القرآن الكريم الأول، والموضعان هما :

الموضع الأول

عند قول الله – ﷻ– ﴿ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئۡتُم بِهِ ٱلسِّحۡرُۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓۖ ﴾[1]، بيّن القراءتين الموجودتين في لفظ "ٱلسِّحۡرُ"، وقوّى قراءة الجمهور بوصل الألف من غير مد، فقال – رحمه الله – : "مَا جِئۡتُم بِهِ ٱلسِّحۡرُۖ" بقطع الألف والمد على الاستفهام: قرأها أبو عمرو وحده[2]، والوجه: أن (مَا) عنده للاستفهام، وليست بموصولة، وهي مبتدأة و(جِئْتُم بِهِ) خبرها، والمعنى: أي شيء جئتم به، وقوله (آلسِحْر) بدل عن (مَا) المبتدأة، وليس بجملة مستأنفة، وإنما كان السحر بدلا عن (مَا)؛ لأنهما قد اشتركا في كون كل واحد منهما استفهامًا، وهذا كما تقول: كم مالُك؟، ثم تقول: أعشرون درهمًا؟، فقولك أعشرون بدل عن كم[3]، وليس بمستأنف بعد الكلام الأول، وقد يجوز أن يكون موضع (مَا) نصبًا، وذلك على قول من قال: زيداً مررت به[4]؟، والتقدير أي شيء جئتم به؟، بنصب أي، فيكون (آلسِحْر) على هذا جملة مستأنفة، والتقدير:(آلسحر هو)، فيكون مبتدأ

---

(١) سورة يونس من الآية : ٨١.

(٢) السبعة لابن مجاهد : ٣٢٨.

(٣) شرح المفصل لابن يعيش ١٦٦/٣ .

(٤) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ١٢٩/٢.

حذف خبره، وقرأ الباقون (مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْر) بوصل الألف من غير مد، والوجه: أن (مَا) في هذه القراءة موصولة، فهي بمعنى الذي، و(جِئْتُم بِهِ) صلتها، والهاء في (بِهِ) عائدة على (مَا)، و(مَا) مع الصلة في موضع الرفع بالابتداء، وقوله (السِحْر) خبره، أي الذي جئتم به السحر(١)، ويقوي هذه القراءة ما روي أن في حرف عبد الله –يعني ابن مسعود– "مَا جِئْتُم بِهِ سِحْرٌ"(٢)(٣).

من خلال كلام ابن أبي مريم السابق يتضح أنه مَالَ إلى قراءة " ٱلسِّحْرُ" بهمزة وصل غير ممدودة، وبني ترجيحه القراءة على أنها في قراءة عبدالله بن مسعود –رضي الله عنه– " مَا جِئْتُم بِهِ سِحْرٌ" بدون ألف ولام، وهذه القراءة لا شك تعطي معنى القراءة الثانية وهي قراءة أكثر القراء "ٱلسِّحْرُ" .

الموضع الثاني

عند قول الله – ﷻ–﴿ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴾(٤)، ذكر ابن أبي مريم القراءتين في لفظ "فَعُمِّيَتْ" بضم العين وتشديد الميم، وجنح إلى قراءة التشديد فقال – رحمه الله – : "فَعُمِّيَتْ" بضم العين وتشديد الميم: قرأها حمزة والكسائي و– ص– عن عاصم(٥)، والوجه: أنه من عميته تعمية، وهو مبني لما لم يسم فاعله، والمعنى: أخفيت عليكم، والتاء ضمير الرحمة من قوله ﴿ وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ ﴾(٦)، ويجوز أن يكون على القلب على ما سيجيئ بيانه من بعد بمشيئة الله، ويؤيد هذه القراءة قراءة أبي والأعمش "فَعُمِّاهَا

(١) الحجة للفارسي ٤ / ٢٩٠ : ٢٩٢ ، والكشف لمكي ١/ ٥٢١ ، ٥٢٢ .
(٢) مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه : ٦٢ .
(٣) الموضَح : ٦٣٤ ، ٦٣٥.
(٤) سورة هود من الآية : ٢٨ .
(٥) النشر ٢/ ٢٨٨ .
(٦) سورة هود من الآية : ٢٨ .

عَلَيْكُمْ"[1]، وقرأ الباقون " فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ " بفتح العين وتخفيف الميم، والوجه: أن الفعل لضمير الرحمة على ما ذكرنا، وهو على القلب، والمعنى عموا عنها، كما تقول أدخلت الخاتم في أصبعي[2]".[3]

من خلال النص السابق نرى أن ابن أبي مريم قوّى القراءة الأولى "فَعُمِّيَتْ " بضم العين وتشديد الميم، وبنى هذا الاختيار على ما جاء في قراءة أبي بن كعب – ﷺ–، والأعمش – رحمه الله – " فَعَمَّاها " حيث جاءت الميم في قراءاتها مشددة، وهي مناسبة لقراءة من قرأ بالتشديد، لذا قويت عنده، ورجّحها عن قراءة التخفيف .

(١) البحر المحيط ٥ / ٢١٧ .
(٢) الكشف ١ / ٥٢٧ .
(٣) الموضَح : ٦٤٣ ، ٦٤٤ .

المبحث السابع

ترجيح الإمام ابن أبي مريم القراءة

لموافقتها رسم المصحف الشريف

في مواضع قليلة أيضاً جنح ابن أبي مريم إلى بعض القراءات؛ لكونها وافقت رسم المصحف الشريف، وقد جاء ترجيحه القراءة في هذه المواضع ضمناً، ولم يصرح بها، وقد أحصيت المواضع التي رجح فيها القراءة؛ لكونها موافقة لرسم المصحف الشريف فوجدته فعل ذلك في موضعين فقط من كتابه (الموضَح) في النصف الأول من القرآن الكريم، الموضعان هما: –

الموضع الأول

عند بيانه المواضع التي أثبت فيها يعقوب الياء، وكذا المواضع التي حذف منها الياء، علّق ابن أبي مريم على مواضع إثبات الياء بقوله:" وأما إثباته – أي يعقوب – الياء فيما أُثبِت منه في الكتاب، فإنما تَبعَ في ذلك المصحف، وهو الإمام المتبع".(١)

فقول ابن مريم : " وهو الإمام المتّبع : تعني أنه يلتزم رسم المصحف الشريف في القراءات الموافقة له، وهو وإن لم يصرح بترجيحة القراءة كعادته، إلا أنه فهم من كلامه اتّباعه رسم المصحف الشريف .

الموضع الثاني

عند قول الله – ﷻ–﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾(٢) ذكر ابن أبي مريم القراءتين في لفظ "هُوَ"، ووجّههما، واختار قراءة "هُوَ" بدون هاء، فقال – رحمه الله – تعالى –: "هُوَهْ " بالهاء حالة الوقف قرأها يعقوب وحده(٣)، وكذلك "أحقٌّ

---

(١) الموضَح : ٣٣٨

(٢) سورة البقرة من الآية : ٢٥٥.

(٣) النشر ٢ / ١٣٥ .

هُوَهْ"[1]، و" لوقتها إلاُ هُوَهْ "[2]، ونحوها في الوقف، وذلك لأن هذه هاء الوقف، أُلحقت الواو هاهنا حرصاً على بيان حركتها في خال الوقف، ولئلا يزيله الوقف بالسكون، كما ألحقت في: اغزُهْ، وارمِهْ كذلك، إلا أن القراء يكرهون ذلك، لأن الهاء ليست في المصحف، وهو الإمام، فكرهوا مخالفته".[3]

ولوحظ أنه علق على قراءة الجمهور "هو" بدون هاء وقفاً بقوله: "لأن الهاء ليست في المصحف، وهو الإمام"، وهو لم يركن صراحة إلى قراءة الجمهور إلا أن حديثه عن قراءة الجمهور بحذف الهاء يُفهَم منها ترجيحه ما ذهب إليه الجمهور .

---

(١) سورة يونس من الآية : ٥٣ .

(٢) سورة الأعراف من الآية : ١٨٧ .

(٣) الموضَح : ٣٣٧ ، ٣٣٨ .

المبحث الثامن

ترجيح الإمام ابن أبي مريم القراءة

لموافقتها حديث النبي – ﷺ-

في موضع واحد فقط رجح ابن أبي مريم القراءة لأنها موافقة لما جاء الخبر الوارد عن رسول الله – ﷺ– والموضع هو : –

عند قول الله – ﷻ–﴿ يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾[1]، بيّن ابن أبي مريم القراءتين في لفظ "مُسَوِّمِينَ"، بكسر الواو وفتحتها، ومال إلى قراءة كسر الواو، وذلك لأنها وافقت الخبر الوارد عن رسول الله – ﷺ – قال ابن أبي مريم: " "مُسَوِّمِينَ" بكسر الواو، قرأها ابن كثير وأبو عمرو وعاصم ويعقوب[2]، والمراد: أنهم سوَّمُوا خيلَهم من السومة، والسيمى، وهما العلامة، وقرأ الباقون: «مسوَّمين» بفتح الواو، والمعنى: معلَّمين في الحرب، وهو مما ذكرنا، ويجوز أن يكون المراد مرسَلين، من قولهم: سوَّمت السائمة أي أرسلتها، والقراءة الأولى أولى؛ لأنه قد جاء في الخبر أنه قال يوم بدر: «سوِّموا فإن الملائكة قد سوّمت»[3]، وكانت الملائكة سوِّمت يوم بدر بالصوف الأبيض في نواصي الخيل وأذنابها[4]".[5]

فقول ابن أبي مريم: "والقراءة الأولى – أي بكسر الواو – أولى: تعني أنه ذهب إليها، واختارها واستدلّ لها بالخبر المذكور .

---

(١) سورة آل عمران من الآية : ١٢٥.

(٢) الإتحاف: ٢٢٨.

(٣) تفسير الطبري٧/ ١٨٥، والدر ٩١٩/١، واللباب لابن عادل الحنبلي ٥٢٣/٥، والمحرر الوجيز لابن عطية٥٣١/١ .

(٤) تفسير ابن كثير ١١٣/٢، وحجة القراءات لأبي زرعة: ١٧٣.

(٥) الموضَح : ٣٨٢ ، ٣٨٣ .

الخاتمة

بعد أن أتممت هذا البحث بفضل الله ومنّته، وبعد رحلةٍ مع الإمام ابن أبي مريم طفت فيها حول كتابه (الموضَح في وجوه القراءات وعللها)، واطّلعت على شخصية الإمام ابن أبي مريم، واستطعت أن أقف على بعض الأسس التي بنى عليها ترجيحه القراءة، ووجدت أن تنوّع ثقافة إمامنا ابن أبي مريم، وسعة اطّلاعه جعلت الأسس التي بنى عليها ترجيحه القراءة متنوعة ومتعددة، وأن جانب المعنى، واللغة، كانا يمثّلان النصيب الأكبر في اختياراته، وذلك نظراً لشغفه بعلمي التفسير، واللغة، وبراعته فيهما، وقد انتهى البحث إلى بعض النتائج المهمّة، وهي :-

١- أنّ اختيار قراءة بعينها، وترجيحها، سجيّةٌ يتّبعها المفسرون، واللغويّون، وأئمة القراءات، كالطبري، ومكي بن أبي طالب، والجعبري، وغيرهم، فالإمام ابن أبي مريم لم يكن بدعاً، وإنما كانت له اختيارات في القراءة كغيره من العلماء، وهذه الاختيارات التي جنح إليها، وحُبِّبت إليه، لم تكن عبثاً؛ بل كانت قائمةً، على أسسٍ ارتضاها.

٢- أن الإمام ابن أبي مريم – رحمه الله – برع في علم (توجيه القراءات)، فهو وإن كان يعرض القراءات الموجودة في اللفظ القرآني بصورة موجزة، إلا أنه وجّه القراءات القرآنية توجيهاً يقرّب القارئ من معاني القراءة وأوجهها اللغوية المرادة، دون إطنابٍ مملٍّ، أو إيجازٍ مخلٍّ، لذا جاء عنوان كتابه متّسقاً مع مسائله التي حواها، وهو في كلِّ هذا يعرض آراء العلماء ويوازن بينها بصورة العالم المدقّق المحقّق .

٣- تأثر الإمام ابن أبي مريم بكتاب (الحجة للقراء السبعة) لأبي علي الفارسي جعل أكثر مسائل كتابه تدول حول اللغة وقضاياها، لذا رجّح العديد من القراءات من أجل قوّة وجهها اللغوي، ولا عجب في ذلك، فالفارسي بارعٌ في العربية، إمامٌ وحجّة عند أهلها، وقد ذكر ابن أبي

مريم هذا الأمر صراحة في مقدمة كتابه (الموضَح في وجوه القراءات وعللها).

٤- تَمَيَّزَ كتاب (الموضَح في وجوه القراءات وعللها) بذكر قراءة الإمام يعقوب الحضرميّ، وراوييه (رويس وروح)، وتوجيهها توجيهاً لا يقلّ مرتبة عن توجيه قراءات الأئمة السبعة، ورواتهم .

٥- أنّ قراءات الأئمة الثلاثة المتمّمة للعشر: أبي جعفر، ويعقوب، وخلف العاشر، تحتاج إلى مزيد عناية من العلماء، والباحثين، فهي لم تلْقَ ما لقيته قراءات الأئمة السبع من التوجيه، والدراسة العميقة، وهي متواترة، ومشهورة كالسبع، فهما في المنزلة سواء.

٦- قضايا القراءات المطعون عليها، قضايا شائكة، وغاية في الأهمية، وذلك أن المطعون فيه قراءة متواترة وثابتة عن رسول الله – ﷺ–، وقد تعرّض الإمام ابن أبي مريم في كتابه (الموضَح في وجوه القراءات وعللها) لبعض تلك القضايا في أكثر من موضع، وقد عاب بعض هذه القراءات التي خالفت وجهاً لغوياً من وجهة نظره[١]، ووصف بعضها بالشذوذ[٢]، وبعضها بالضعف[٣]، وهو أمرٌ لا يليق أبداً بالقراءة القرآنية المتواترة، التي بلغت أعلى درجات الفصاحة والبلاغة، فاللغة تابعة للقرآن الكريم، ولا يليق أبداً أن يكون القرآن الكريم تابعاً لها.

٧- اتّضح من خلال أسلوب ابن أبي مريم أنه كان يضع القراءات القرآنية في الميزان التفسيري، أو اللغوي، أو غيرهما، ثم إن لم يجد مرجّحاً لقراءة بعينها يُسَوّي بين القراءات في المنزلة، وكثيراً ما صرّح

---

(١) الموضَح: ٣٣٨.

(٢) الموضَح: ٣٨٨ .

(٣) الموضَح: ٥٨٧ .

بهذا الأمر، فكان يقول :" وكلتا القراءتين حسنة "[1]، " وكلاهما حسن"[2]، " وكلاهما واحد في المعنى"[3]، فإن وجد مرجّحاً لقراءة عندها يفاضل بينها، ويختار منها ما يراه مناسباً، ويدلي بدلوه ويذكر سبب ترجيحه .

وبعدُ؛ فأسأل الله أن يرزقني الاخلاص في القول والعمل، وأن يوفّقني لخدمة كتابه، والعمل به، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) الموضَح : ٣١٣ .
(٢) الموضَح : ٦٥٣ ، ٦٥٤ .
(٣) الموضَح : ٦٩٦.

فهرس أهم المصادر والمراجع

القرآن الكريم، واعتمدت في ذلك على المصحف المضبوط على رواية حفص عن عاصم .

١- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر للبناء الدمياطي – تحقيق: أنس مهرة – الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان – الطبعة الثالثة – ٢٠٠٦م – ١٤٢٧هـ .

٢- الأعلام لخير الدين الزركلي – الناشر دار العلم للملايين – الطبعة الخامسة عشر– ٢٠٠٢م .

٣- البحر المحيط – المؤلف : محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي دار النشر : دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م – الطبعة : الأولى – تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض ، ود: زكريا عبد المجيد النوقي ، و د:أحمد النجولي الجمل.

٤- تفسير ابن كثير – طبعة دار طيبة للنشر– ط الثانية ١٤٢٠هـ– ١٩٩٩م، تحقيق: سامى بن محمد سلامه.

٥- التيسير في القراءات السبع للحافظ الداني – طبعة دار الصحابة للتراث – طنطا، ٢٠٠٢م، تحقيق: جمال محمد شرف.

٦- الجامع لأحكام القرآن – المؤلف : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ) – المحقق : هشام سمير البخاري – الناشر : دار عالم الكتب ، الرياض ، المملكة العربية السعودية – الطبعة : ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م.

٧- حجة القراءات – المؤلف: عبد الرحمن بن محمد ، أبو زرعة ابن زنجلة (المتوفى: حوالي ٤٠٣هـ) – محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني – الناشر: دار الرسالة .

٨- الحجة للقراء السبعة لأبى على الفارسي – طبعة دار المأمون للتراث بيروت – الطبعة الثانية: ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م – تحقيق بدر الدين قهوجي وآخرين.
٩- الحجة في القراءات السبع ، لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه، تحقيق / أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط الأولى ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م .
١٠- إعراب القراءات السبع وعللها ، لأبى عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه، تحقيق د / عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مطبعة المدنى . المؤسسة السعودية بمصر ، ط الأولى ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.
١١- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني – المؤلف : محمود الألوسي أبو الفضل – الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت .
١٢- السبعة لابن مجاهد – تحقيق: شوقي ضيف – الناشر: دار المعارف – مصر – الطبعة الثانية: ١٤٠٠هـ .
١٣- غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري – الناشر – مكتبة ابن تيمية – عنى بنشره أول مرة برجستراسر عام ١٣٥١هـ .
١٤- الكتاب – المؤلف: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (المتوفى: ١٨٠هـ) – المحقق: عبد السلام محمد هارون – الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة – الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
١٥- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لأبى محمد مكى بن أبى طالب القيسى ، تحقيق د/ محيى الدين رمضان، مؤسسة الرسالة . بيروت ، ط الخامسة ١٤١٨ هـ . ٢٠٠٢ م

١٦- لسان العرب لابن منظور- طبعة دار صادر- بيروت - ط الثالثة، ١٤١٤هـ، بدون تحقيق .

١٧- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جنى - طبعة وزارة الأوقاف- المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

١٨- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المؤلف : أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي - دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٣هـ . ١٩٩٣م - الطبعة: الأولى - تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد .

١٩- معانى القرآن، لأبى الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش، تحقيق د / عبد الأمير محمد أمين الورد ، عالم الكتب . بيروت ، ط الأولى ١٤٠٥ هـ . ١٩٨٥ م .

١- معانى القرآن وإعرابه، لأبى إسحاق إبراهيم بن السرّى الزجاج، تحقيق د/ عبد الجليل شلبي، دار الحديث . القاهرة، ١٤٢٤ هـ . ٢٠٠٤ م.

٢- معانى القرآن ليحيى بن زياد الفراء ، تحقيق د / عبد الفتاح إسماعيل شلبي . دار السرور .

٣- معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، المحقق: إحسان عباس - الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت - الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

٤- معجم المؤلفين - المؤلف: عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشق (المتوفى: ١٤٠٨هـ) - الناشر: مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.

٥- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار - المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى:

٧٤٨هـ) – الناشر: دار الكتب العلمية – الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ-١٩٩٧م.

٦- النشر في القراءات العشر لابن الجزري – طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الثانية ، ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٢م، تقديم الأستاذ/ على محمد الضباع.

٧- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين – المؤلف: إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (المتوفى: ١٣٩٩هـ) – الناشر: طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول ١٩٥١م – أعادت طبعه بالأوفست: دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان –.

٨- الوافي بالوفيات للصفدي تحقيق : أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفي – الناشر: دار احياء التراث – بيروت – ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م .